

الكتاب الثالث عشر

روايات مصرية للجيب

# جزيرة القدر

وقصص أخرى

# كوكتيل

٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم



Looloo

www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
١٠، شارع السيدة، القاهرة - ت. ٩٠٨٥٠٠



( قصة قصيرة )

## العقاب

حلّ ( خميس ) رباط عنقه ، وهزّ رأسه يمنة ويسرة ، وكأنما يحاول التخلص من تأثير ضغط الرباط على عنقه ، وأطلق زفرة عميقة ، وهو يرقد مسترخيًا ، أو محاولًا الاسترخاء ، فوق منضدة الكشف الخاصة ، في عيادة الدكتور ( فهمي ) ، الذي ظلّ صامتًا ، منتظرًا ، حتى ينتهي ( خميس ) من حركاته المتوترة العديدة ، ثم مال نحوه ، وسأله في هدوء :

— هل تشعر بالاسترخاء الآن يا سيّد ( خميس ) ؟

- مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

لم يكن ( خميس ) يشعر بذلك على الإطلاق ، ولكنه أوما برأسه إيجابا ، فمنحه الدكتور ( فهمي ) ابتسامة مشجعة ومطمئنة ، وهو يكمل :

— أحب أن أذكرك في البداية بضرورة ذكر الحقائق .. كل الحقائق .

تمم ( خميس ) :

— سأفعل .

اتسعت ابتسامة الدكتور ( فهمي ) أكثر ، وقال :

— عظيم .. هكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين الطبيب النفسي ومريضه .. إنك لم تأت إلى هنا ، إلا لأنك تشعر بحاجة إلى علاج نفسي .. أليس كذلك ؟

أوما ( خميس ) برأسه إيجابا ، وازدرد لعابه في صعوبة ، وهو يقول :

— بلى يا دكتور ( فهمي ) .. إنني أعاني عذابا رهيبا .. ذلك الكابوس سيقتلني .

ربت الدكتور ( فهمي ) على كفه في رفق ، ليبت في نفسه بعض الطمأنينة ، وهو يقول :

— أخبرني كل ما لديك ، وسنحاول منعه من مهاجمتك مرة أخرى .  
بدا التردد على وجه ( خميس ) ، فربت الدكتور ( فهمي ) على كفه مرة أخرى ، وقال :

— وينبغي أن تعلم أنه ليس من حق الطبيب النفسي كشف أسرار مرضاه ، فالقانون يعاقبه على هذا ، ولا يعترف بما كشفه من أقوال أو اعترافات .

كان من الواضح أن هذه هي العبارة التي يحتاج إليها ( خميس ) بالذات ، فقد تنهد في ارتياح ، وبدأ جسده يسترخى بالفعل ، وهو يتطلع إلى الدكتور ( فهمي ) بعينين نصف مغلقتين ، في حين سأله الدكتور ( فهمي ) في صوت خافت هادئ ، يدعو إلى الثقة :

— والآن ما نوع الكابوس ، الذي يهاجم أحلامك دائما ؟

تقلصت عضلات وجه ( خميس ) ، وهو يجيب :

— إنه كابوس بشع يا دكتور ( فهمي ) .

وازدرد لعابه مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

— أرى نفسي سائرا وسط المقابر ، والظلام والضباب يحيطان بي من كل جانب ، ثم يظهر ذلك الصبي .

سأله الدكتور ( فهمي ) في اهتمام :

— أي صبي ؟

أجاب ( خميس ) ، وهو يرتجف :

— الصبي الأحمر الشعر ، ذو الندبة الصغيرة على جبهته ، وطابع

الحسن في منتصف ذقنه .. أراه يخرج من قبر مفتوح ، ويتجه إلى مباشرة .

وعيناه تحملان غضب الدنيا كلها ، ثم .. ثم ..

سأله الدكتور ( فهمي ) في انفعال واضح ، وكأنما أثاره الوصف :

— ثم ماذا ؟

ارتسم الملح في عيني ( خميس ) ، وهو يستعيد تفاصيل الكابوس ،

وأخذ يلوّح بكفه ، وهو يجيب :

— ثم تمتد يدا الصبي نحو عنقي ، وأراهما يديين من العظام ، كأيدي

الهيكل العظمى ، وأحاول التراجع ، ولكن الأصابع العظمية تحيط بعنقى ، و .. و ..

هتف الدكتور ( فهمى ) :

— وماذا ؟

جحظت عينا ( حميس ) فى رعب ، وهو يقول :

— وأختق .. أختق حتى أكاد ألفظ أنفاسى الأخيرة ، قبل أن أستيقظ

صارحًا ، وينبض قلبى فى عنف .. قلبى المريض .

أجهش فجأة بالبكاء ، فى حين لاذ الدكتور ( فهمى ) بالصمت التام ،

وهو يتطلع إليه فى جمود ، حتى انتهى من بكائه ، فسأله :

— أيرودك هذا الكابوس كثيرًا ؟

أوما ( حميس ) برأسه إيجابًا ، وهو يمسخ دموعه ، قائلاً :

— أكثر مما تتصور يا دكتور ( فهمى ) .. إنه عقاب .. أعلم أنه

كذلك .

اعتدل الدكتور ( فهمى ) فى مجلسه ، وسأله :

— لماذا تتصور أنه عقاب ؟ .. أكنت تعرف هذا الصبي من قبل ؟

أغمض ( حميس ) عينيه ، وأشاح بوجهه ، وهو يقول فى مرارة :

— لقد رأيته مرة واحدة .

مال الدكتور ( فهمى ) نحوه ، وقال فى اهتمام :

— متى ؟ .. وكيف ؟

صمت ( حميس ) بعض الوقت ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن

يقول :

— كان هذا منذ عشر سنوات تقريبًا .. ولم أكن أيامها نريًا ، كما أنا

الآن ، بل كنت قد خرجت من السجن على التو ، فقيرًا ، ناقمًا على

الدنيا ، كارها لكل الأغنياء والأثرياء .. وكنت أبحث عن عمل ، يتيح لى

فرصة الاندماج مرة أخرى بالمجتمع ، ويواجهنى الرفض فى كل مرة ؛

لأننى خرج سجون سابق ، مما زاد من مقبى ومرارتى وغضبى .

وازدرد لعابه فى صوت مسموع ، قبل أن يكمل :

— ثم وقع بصرى على ذلك الصبي .

سأله الدكتور ( فهمى ) فى اهتمام شديد :

— أهو نفس الصبي ، الذى يظهر فى الكابوس ؟

أوما ( حميس ) برأسه إيجابًا ، وهو يعض شفته السفلى ، محييًا :

— نعم .. نفس الصبي الأحمر الشعر ، بطابع الحسن فى منتصف

ذقنه ، وتلك الندبة الصغيرة فى جبهته .

مال الدكتور ( فهمى ) نحوه

أكثر ، يسأله :

— وماذا فعلت به ؟

بدأت دموع ( حميس ) تنهمر

مرة أخرى ، وهو يقول :

— كان يرتدى ساعة من

الذهب ، يكفى ثمنها لإطعامى شهرًا

كاملاً ، وكانت رائحة الثراء تفوح

منه فى وضوح ، فاتجهت إليه ،

واستدرجته خلف مبنى قديم ، و ..

صمت قاطعًا عبارته ، وراحت

شفتاه ترتجفان فى شدة ، فسأله



الدكتور ( فهمي ) :

— وماذا ؟

صاح كمن يلقي عن

— وحنقته .

قالها وانفجر باكياً ، في حين تراجع الدكتور ( فهمي ) بمقعده في حركة حادة كالصعوق ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يحدق في وجه ( خميس ) ، الذي واصل من خلال دموعه :

— جنمت على صدره بلا رحمة ، واعتصرت عنقه الصغير بيدتي العاريتين ، متجاهلاً صراخه وتوسلاته ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، فانترعت الساعة الذهبية من يده ، وانطلقت هارباً .

كان من الواضح أن الدكتور ( فهمي ) قد تأثر كثيراً ، من هول وبشاعة ماسع ؛ فقد ظل صامتاً طويلاً ، حتى بعد أن انتهى ( خميس ) من روايته ، وراح يتطلع في قلق إلى طبيه ، الذي سأله أخيراً :

— وماذا فعلت بعد ذلك ؟

أجابه ( خميس ) :

— بعث الساعة ، وبدأت تجارة صغيرة بجزء كبير من ثمنها ، وسرعان ما نمت تجارتي وازدهرت ، وصرت — كما ترى — واحداً من كبار الأثرياء ورجال الأعمال في عشر سنوات فحسب .

ثم انفجر مرة ثالثة باكياً ، وهو يستطرد في انفعال :

— كل هذا بدم الصبي البريء .

تطلع إليه الدكتور ( فهمي ) لحظة في صمت ، ثم نهض يلتقط من

دولابه الخاص قنينة صغيرة ، غرس في فوهتها المطاطية إبرة محقنه ، وملاً المخن بمحتوياتها ، ثم عاد يكشف ذراع ( خميس ) ، ويدفع إبرة المخن في أوردته ، فهتف به ( خميس ) في جزع :

— ما هذا ؟

أجابه الدكتور ( فهمي ) في هدوء :

— اطمئن .. إنه عقار مهدئ ، فأعصابك مهتاجة للغاية

صاح ( خميس ) في دعر :

— لا .. لا أريد أن أنام .. سيعاودني ذلك الكابوس البشع ، لو

استسلمت للنوم .

عاد الدكتور ( فهمي ) إلى مقعده ، وهو يقول :

— لا تقلق .. كل إنسان يحتاج إلى النوم ، ولا يمكنك أن تبقى

مستيقظاً طيلة حياتك .

هتف ( خميس ) في خوف :

— إنك لا تفهم شيئاً يا دكتور ( فهمي ) .

استرخى الدكتور ( فهمي ) في مقعده ، وهو يقول :

— اشرح لي إذن .

ازدرد ( خميس ) لعابه مرة أخرى ، وقال :

— كل مرة يهاجمني فيها هذا الكابوس اللعين ، تزداد قوة ضغط

الأصابع العظمية على عنقي ، وفي كل مرة أفلت من الموت في صعوبة ،

وذات مرة سيضعف الضغط على عنقي ، وألقى حتفي بسبب كابوس

ابتسم الدكتور ( فهمي ) في هدوء ، وقال :

— اطمئن .. لن يحدث هذا .

شعر ( خميس ) بأطرافه تراخى ، وبأجفانه تتناقل ، وهو يقول :

— وماذا عن قلبى المريض ؟ .. إنه سينهار حتمًا ذات يوم ، مع كل هذا

الرعب .

قال الدكتور ( فهمى ) ، وابتسامته تتسع أكثر :

— اطمئن مرة أخرى يا رجل ، فقلبك لن ينهار من الرعب .

ثم مال نحوه بغتة ، مستطرذاً فى مقت رهيب :

— بل من تلك المادة ، التى حقنتك بها منذ لحظات .

اتسعت عينا ( خميس ) فى رعب ، وهو يهتف :

— المادة !؟

أجابه الدكتور ( فهمى ) ، وهو يتسم ابتسامة شامته ظافرة :

— نعم يا ( خميس ) ، المادة التى حقنتك بها ستدفع قلبك للنبض فى

قوة وعنف ، وستبلغ نبضاته حدًا تعجز معه عضلاته عن الاحتمال . مع

الجرعة المضاعفة ، التى دفعتها فى عروقك ، والتى نخذرنا الكتب من

بلوغها ، ومع انبهار عضلات قلبك وإنهاكها ، ستوقف عن العمل ،

وتصرخ خلاياك طالبة الأكسجين ، وتسرى فى صدرك آلام مبرحة ،

وتحفظ عيناك وتنقطع أنفاسك ، و ..

ومال نحوه أكثر ، وهو يستطرد فى مقت واضح :

— وتموت .

بدأ ( خميس ) يشعر بآلام صدره ، وحاجته إلى التنفس بالفعل ، ولحيل

إليه أن قلبه ينبض فى قوة ، حتى ليكاد يخترق صدره ، وهو يهتف بالدكتور

( فهمى ) فى رعب :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا تقتلنى ؟

تراجع الدكتور ( فهمى ) فى مقعده ، وقال فى كراهية :

— لأن القدر قادك إلى هنا ، لتلقى عقابك العادل ، بعد كل هذه

السنوات .

راح ( خميس ) يلهث طالبًا الهواء ، وأمسك صدره فى قوة ،

وهو يهتف :

— ليس هذا من حقلك .. إنك طيب نفسى ، ولست قاضيًا .. ليس

من حقلك أن تحكم بموتى ، وأن تنفذ الحكم بنفسك .

ابتسم الدكتور ( فهمى ) فى مرارة ، وهو يقول :

— ليس من حقلى !؟ .. منذ متى تهتم بالحقوق والواجبات أيها القاتل

الحفير ؟

ثم مال نحوه فى حركة حادة ، مستطرذاً :

— هل تحب أن تعرف السبب الحقيقى ، الذى دفعنى لقتلك ؟

لم يجب ( خميس ) ، فقد كان يحدق في وجه الطبيب بعينين جاحظتين ،  
والألم يعتصر صدره ، وعلى الرغم من هذا ، فقد حك الدكتور ( فهمي )  
طابع الحسن في منتصف ذقنه ، ورفع أصابعه يداعب شعره الأحمر ، قبل  
أن يقول بكل مقت الدنيا :

— لأن ذلك الصبي ، الذي قتلته بلا رحمة ، منذ عشر سنوات ، كان  
ابني يا رجل .. ابني الوحيد .

وجحظت عينا ( خميس ) أكثر ..

وأطلق شهقة قوية ..

وأخيرة .

\* \* \*



روايات مصرية للجيب

العقرب



العصايب

الجزء الثالث

المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بلاطو مصر - القاهرة - ١١٥٥٥٥

## ملخص ما سبق نشره

حاول المهندس الجيولوجي ( فهمى صابر ) تحذير اللواء ( حلمي ) من عصابة ، تسيطر على واحدة من شركات البترول المصرية ، ولكن اللواء ( حلمي ) تصور أنه مصاب بمرض نفسي ، وتجاهل التحذير ، حتى لقي المهندس مصرعه على نحو مريب ، وهنا طلب اللواء ( حلمي ) معاونة ( نديم ) ؛ لكشف الأمر ، وانطلق ( نديم ) في شخصية ( العقرب ) ؛ لبحث الأمر ، ومراقبة العصابة ، المكوّنة من المديرين الخمسة ( عماد ) ، و ( رضوان ) ، و ( جمال ) ، و ( أشرف ) ، وعلى رأسهم رئيس مجلس الإدارة ( كامل شكرى ) ..

وبدأت الحرب الحقيقية ..

وحاول أفراد العصابة القضاء على ( العقرب ) ، ولفقوا له جريمة قتل ، أثارت العقيد ( مجدى ) ، فراح يبذل أقصى جهده بدوره ؛ للإيقاع بـ ( نديم فوزى ) ، دون أن يدرك أنه بهذا يفسد عمل ( العقرب ) ، ومحاولاته لكشف العصابة ..

وهاجم ( العقرب ) ( رضوان ) في فيلته ، ونجح في الوصول إليه ، على الرغم من حارسه ، ولكن تدخل زوجة ( رضوان ) أفسد الأمر ، وجعل الحارسين يحاصران ( العقرب ) في حديقة الفيلا ، ويصيانه في ساقه ، وكادا يوقعان به ، وينزعان قناعه ، لولا وصول ( غادة ) في اللحظة المناسبة ؛ لتنقذه من بين أيديهم ، وتفريجه من المكان .. وفي نفس الوقت ، كانت زوجة ( رضوان ) قد أبلغت ( كامل شكرى ) بما حدث ، فأرسل رجاله خلف سيارة ( غادة ) و ( نديم ) ، وكاد الرجال يقتلون بطلينا ، لولا وصول سيارة شرطة ، دفعت الجميع للفرار ، بعد أن حصل ( وجيه ) ، قائد القتل على رقم سيارة ( غادة ) ، وقرر البحث عن صاحبة السيارة ، والقضاء عليها ..

وكذلك ( مجدى ) ، أدرك أن إصابة ( العقرب ) يمكنها ان توقع بـ ( نديم ) أيضا ، وتثبت أنه و ( العقرب ) شخصان لرجل واحد ، ولكن ( نديم ) و ( غادة ) كانا قد أعدا للأمر عدته ، بمعاونة الدكتور ( قدرى ) ، الطبيب الخاص لـ ( نديم ) ، مما أفسد خطة ( مجدى ) ، وجعله ينصرف من منزل ( نديم ) ساخطا محققا ، في الخامسة والنصف صباحا ..

## العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص ..

عندما تحيط العدالة عينها بعصابة سميكة ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون ..

عندئذ يهب هو للقتال ، حاملا ذلك الاسم ، الذى يشير

الرجفة في قلوب أعتى المجرمين ..

اسم ( العقرب ) ..

د. نبيل فاروق



## ١ — المواجهة ..

لم يكدرنين الهاتف يرتفع ، في ردهة فيلا الدكتور ( جمال ) ، حتى قفز  
( كامل شكرى ) إلى الهاتف ، وانتزع سماعته ، قائلاً في انفعال واضح

— من المتحدث ؟

كان من الواضح أنه يستمع إلى من كان ينتظره ، فقد اعتدل جسده ،  
وأمسكت أصابعه السماعة في قوة ، وهو يقول :

— نعم .. هو أنا .. لماذا لم تصل حتى الآن يا ( وجيه ) .

انعقد حاجباه في قوة ، نبض لها قلب زوجة ( جمال ) بسرعة كبيرة ،  
وكادت أصابعه تعصر سماعة الهاتف ، وهو يصرخ :

— الشرطة ؟! .. وكيف تدخلت الشرطة ؟

تقاقر الغضب في كل خلجة من خلجاته ، وهو يواصل :

— ( العقرب ) ؟! .. مرة أخرى ( العقرب ) .. من أين يأتي ذلك

الشیطان ؟ .. ألم توقفه إصابة ساقه بعد ؟

استمع إلى محدثه بضع لحظات في صمت ، فاقتربت منه زوجة  
( جمال ) ، في قلق وفضول ، تسأله :

— ماذا حدث يا ( كامل ) بك ؟! .. ماذا حدث ؟

تجاهلها تماماً ، وهو يقول لـ ( وجيه ) :

— لا بأس .. استمر مع رجالك في مراقبة قسم الشرطة ، حتى

يفادره ( جمال ) و ( نديم ) هذا ، ونفذ أوامري بشأنهما ، في الوقت

المناسب ..

وفي هذا الوقت ، كان أفراد العصابة قد توصلوا إلى خيط ، يشير إلى ارتباط  
( نديم ) بشخصية ( العقرب ) ، فأرسلوا رجلين للقضاء عليه مع ( غادة ) في  
مكتبهما ، ولكن بطلينا نجحاً في إنقاذ حياتهما ، وبدأت معهما مرحلة جديدة من  
الصراع ..

مرحلة المواجهة ..

وعندما حاول أحد أفراد العصابة ، وهو الدكتور ( جمال ) ار ، فوجس  
بـ ( العقرب ) داخل سيارته ، وطاردته سيارة أخرى ، وحدث قتال سريع ، بين  
( نديم ) وقائدي السيارة ، بعد أن فقد ( جمال ) وعيه ، ولكن رجال الشرطة  
وصلوا ، وألقوا القبض على ( نديم ) ، وهو يحمل في جيبه قناع

وألقى رجال الشرطة القبض على ( نديم ) ، بشيابه السوداء ، وعلى الرجلين ، وعلى  
( جمال ) أيضاً ..

وجاءت الفرصة لـ ( مجدى ) على طبق من ذهب ..

وبأسرع ما يمكنه ، وصل ( مجدى ) بصحبة الرائد ( حسن ) إلى قسم الشرطة ،  
( نديم ) وجهها لوجه ..

وقرر ( مجدى ) أن يخرج من جيب ( نديم ) قناع ( العقرب ) وقفازيه وبطاقته ،  
في حضور الضابط النوبتجي والرائد ( حسن ) ، وكان يعلم أن إخراجها في حضور  
شاهدين ، سيعنى أن النهاية قد حانت ..

نهاية العقرب (\*)

\*\*\*

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثاني ، في كتاب ( كوكبيل

٢٠٠٠ ) ، رقم ( ١١ ) ، ثمن الصداقة ، و ( ١٢ ) ، العنقاء ..

أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها ، فعادت زوجة ( جمال ) تسأله في قلق :

— ماذا حدث ؟

أشعل سيجاره ، ونفث دخانه في عصبية ، قبل أن يجيبها :

— لقد اختبأ ( العقرب ) في سيارة زوجك ؟

اتسعت عيناها في ذعر ، وهي تقول :

— عقرب !! .. أهو عقرب سام ؟ .. هل لدغ ( جمال ) ؟

انعقد حاجباه في ضيق ، وتذكر أنها لا تعلم شيئاً عن ( العقرب ) ،

فمط شفثيه في ازدياء ، وأجابها وهو يثيح بوجهه :

— إنه مجرد مصطلح ، نطلقه على شخص يحاول عرقلة عملنا .

هتفت في هلع :

— شخص !؟ .. أهو أحد رجال الشرطة ؟

أجابها في ضيق وضجر :

— لا .. إنه ليس كذلك .

زفرت في ارتياح ، وقالت :

— يمكننا أن نرشوه إذن .

رمقها بنظرة ضيق ، فارتبكت مستطردة :

— أو نقتله .

مط شفثيه مرة أخرى ، وقال :

— دعك من هذا يا سيدتي .. كل ما في الأمر أن زوجك قد تعرّض

لمخالفة بسيطة ، وسيميده رجالنا إلى هنا ، بعد أن ينتهي من سدادها .

ثم شرد ببصره ، مستطرداً :

— وبعدها سيقومون بعمل آخر ، يخلصنا من هذا الـ ..

صمت لحظة ، ثم أضاف بكل المقت والكراهية في أعماقه :

— هذا ( العقرب ) .

\*\*\*

لم يكن هناك ، في الأرض كلها ، من هو أكثر سعادة من العقيد

( مجدى ) ، في هذه اللحظة بالذات ..

لقد أوقع بـ ( نديم ) ، وها هو ذا يحتجزه داخل حجرة الضابط

النوبتجى ، في أحد أقسام الشرطة ، ويده تمتد لتتزعق قناع ( العقرب )

وبطاقته من جيب الزى الأسود ، الذى يرتديه ( نديم ) ، و ..

وفجأة حدث الاقتحام ..

اقتحمت ( غادة ) حجرة الضابط النوبتجى في عنف ، وخلفها

حارس الحجرة ، يحاول منعها في خوف وتوتر ..

وتوقفت يد ( مجدى ) ، قبل أن تلمس جيب ( نديم ) ، واعتدل في

حركة حادة سريعة ، في حين التفت الرائد ( حسن ) إلى ( غادة ) في

دهشة ، وهب الضابط النوبتجى من مقعده ، هاتفاً في غضب :

— ما هذا ؟ .. ما الذى يحدث هنا ؟

أجابته ( غادة ) في غضب مماثل :

— أنا ( غادة ) ، المحامى الخاص للأستاذ ( نديم فوزى ) ، وأحب أن

أحذركم من أنكم ترتكبون أكبر خطأ قانوني في حياتكم أيها السادة .

عقد ( مجدى ) حاجبيه فى غضب ، فى حين هتف الضابط النوبتجى :  
 — أى خطأ هذا ؟ .. إنا نقوم بتفتيش رجل ، تم إلقاء القبض عليه ،  
 أثناء شجار فى الطريق ، استخدم فيه أحد المتشاجرين مسدسًا .  
 كان حارس الحجره قد توقف فى قلق ، منتظرًا أوامر الضابط ، بشأن  
 تلك التى اقتحمت الحجره ، فأشار إليه الضابط بالانصراف ،  
 و ( غادة ) تعقد سائديها أمام صدرها ، قائلة :  
 — ولكنكم أقيم القبض على ذلك الذى استخدم المسدس ، وحصلتم  
 على مسدسه بالفعل . ومن حقكم استجواب ( نديم ) ، ولكن ليس من  
 حقكم تفتيشه .

التفت إليها ( مجدى ) بكياته كله ، وقال فى حدة :

— أخطأت أيتها الساذجة ، فقانون الطوارئ يبيح لى حق تفتيش أى  
 مواطن ، فى أية لحظة من لحظات الليل أو النهار ، مجرد الاشتباه .  
 ابتسمت فى ثقة ، قائلة :

— ليس إذا كانت بينك وبينه خصومة شخصية .

قال فى عصبية :

— أية خصومة شخصية ، إنه مجرد متهم ، أو مشتبه فيه ، و ..

قاطعته فى صرامة :

— وماذا ؟ .. كان المفروض أن يستجوبه الضابط النوبتجى ، أو حتى  
 يقوم بتفتيشه ، ولكن إيقاظك من نومك ، وحضورك العاجل إلى قسم  
 شرطة لا يخصك ، ومحاولتك تفتيش المشتبه فيه بنفسك ، كلها عوامل تؤيد

وجود خصومة شخصية بينك وبينه . خاصة عندما نضيف إلى هذا  
 صراعك الشخصى معه . عندما كان يعمل فى الشرطة .

هتف الضابط النوبتجى فى دهشة :

— فى الشرطة ؟! .. هل كان السيد ( نديم ) زميلًا لنا فيما مضى ؟

أجابته فى سخرية :

— أتعنى أن العقيد ( مجدى ) لم يخبرك بهذا ؟

لم يجب الضابط ، وإنما رمق ( مجدى ) بنظرة ضيق صامتة ، جعلت  
 ( مجدى ) يقول فى حدة عصبية :

— فليكن أيتها الأفعى القانونية ، سأجاهل كل ما سمعته منك الآن ،

وسأقوم بتفتيش ( نديم ) ، و ..

قاطعته فى سخرية :

— فليكن .. تجاهل ما يحلو لك ، ولكن لتعلم أولًا أنى لم أكتف

بالقدوم إلى هنا .. لقد أبرقت بالأمر إلى وزير الداخلية ، وإلى اللواء

( حلمى ) ، ورئيس الجمهورية ، و ..

راحت تعدد الجهات الرسمية ، التى أبرقت إليها بالأمر ، حتى شحبت

وجه الضابط النوبتجى ، وهو يقول :

— ولكن لماذا كل هذا ؟ .. إنا نتبع القانون ، ولن نتجاوزه قط ..

لم يكن ( نديم ) قد نطق كلمة واحدة ، منذ اقتحمت ( غادة )

الحجره ، وكان يكتفى بمراقبتها فى هدوء كعادته ، ولكنه خالف هذه

القاعدة ، وقال فى هدوء شديد ، عند هذه النقطة :

— وأنا كذلك أسعى لتحقيق العدالة أيتها الزميل .

التفت إليه الجميع في دهشة ، وعقدت ( غادة ) حاجبها في قلق  
 للعبارة ، في حين هتف ( مجدى ) في لهفة :  
 — أيعنى هذا أنك ستدلى باعترافك ؟  
 سأله ( نديم ) في هدوء :  
 — أى اعتراف ؟  
 أجابه في انفعال :

— الاعتراف بأنك ( العقرب ) .

خجل لـ ( غادة ) أنها قد نحت شبح ابتسامة ، على جانب شفتى  
 ( نديم ) ، وهو يقول :

— هذا اعتراف جيد منك ، بأن ( العقرب ) يسعى لتحقيق العدالة ،  
 يا عزيزى ( مجدى ) ، ولكن ما أقصده لم يكن الاعتراف ، وإنما  
 التعاون .

قال ( مجدى ) في حذر :

— التعاون !؟

أجابه ( نديم ) في هدوء :

— نعم يا عزيزى ( مجدى ) .. التعاون .. سأسمح لكم بتفتيشى ،

حتى لو كان هذا مخالفا للقانون .

هتفت ( غادة ) في دهشة :

— ( نديم ) !؟

ولكنه قال في حزم :

— إننى أعلم ما أفعل يا ( غادة )

وواجه ( مجدى ) ، مستطرذا .

— هيا يا ( مجدى ) .. قم بتفتيشى .

تردد ( مجدى ) لحظة ، أمام هذا التحدى المباشر ، ثم لم يلبث أن انقض

على جيب ( نديم ) ، قائلا :

— نعم .. سأفعل .. لقد وافق أمامكم .. أليس كذلك ؟



ولكن الجيب كان خاليا ..

كل جيوب ( نديم ) كانت كذلك ..

وفي دهشة وحنق ، هتف ( مجدى ) :

— أين القناع إذن ؟

أجابته ( غادة ) فى سخرية :

— فى عقلك وحده أيها العقيد .

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، و ( مجدى ) يحدق فى وجه ( نديم )

الجامد فى توتر بالغ ، قبل أن يقول ( مجدى ) فى غضب ثائر :

— أين أخفيته ؟

سأله ( نديم ) فى برود :

— ما هذا الذى تعنيه ؟

انقض ( مجدى ) على ( نديم ) ، وجذبه من قميصه فى عنف ، وهو

يصرخ فى وجهه :

— اسمع يا ( نديم ) .. إننى لن أسمع لك بـ ..

قاطعته ( غادة ) فى غضب :

— إنك تتجاوز حقوقك القانونية يا ( مجدى ) .

أما الضابط النوبتجى ، فقد قال فى توتر :

— معذرة يا سيادة العقيد ، ولكننى لن أقبل حدوث تجاوزات فى

القسم ، فى فترة نوبتجيتى .

كاد الغضب يتفجر من وجه ( مجدى ) . أمام كل هذه الضغوط ،

وشعر الرائد ( حسن ) أنه من الممكن أن يوزط ( مجدى ) نفسه فى مشاكل

قانونية عسيرة ، فقال فى قلق ، وهو يربت على كتفه :

— لا بأس يا سيادة العقيد .. دعنا ننصرف الآن ، و ..

قاطعه ( مجدى ) فى صرامة :

— لا .. ليس الآن .

ثم دفع ( نديم ) عنه ، والتفت إلى الضابط النوبتجى ، يسأله :

— هل استجوبته ؟

أجابه الضابط :

— نعم .. ولقد قال إنه كان يسير وحده فى الطريق ، عندما شاهد

سيارة تهاجم أخرى ، ويحاول رجلان من السيارة الأولى قتل رجل فاقد

الوعى ، أصيب من ارتطام السيارة الثانية بجدار على جانب الطريق ،

فتدخل محاولاً إنقاذ الرجل .

سأله ( مجدى ) :

— ومن هذا الفاقد الوعى ؟

أجابه الضابط :

— لقد استعاد وعيه ، ولكنه متوتر الأعصاب بشدة ، يطالبنا طيلة

الوقت بتركه ، ويؤكد فى كل لحظة أنه لن يتقدم بشكوى ضد أحد .. و ..

قاطعه ( مجدى ) فى حدة :

— سألتك من هو ؟

لم يرق هذا الأسلوب للضابط النوبتجى ، ولكنه أجاب فى ضيق :

— إنه الدكتور ( جمال ) .. صاحب المستشفى الخاص ، والمدير

العلمى والفنى لشركة ( ..... ) للبتروول ، و ..

هتف به ( مجدى ) مقاطعاً :

— شركة البتروول .

ثم التفت إلى ( نديم ) ، وقال في صرامة :

— لماذا هذه الشركة بالذات ؟

سأله ( نديم ) في هدوء :

— ماذا تقصد ؟

أجاب في حدة :

— أقصد أن ( العقرب ) قد هاجم اثنين ، من مديري شركة البنرول

نفسها ، في يومين متتاليين ، فما الذى يسمي إليه ، بشأن هذه الشركة

بالذات ؟

هز ( نديم ) كتفيه ، وقال في برود :

— يمكنك أن تسأله .

مضت لحظات ، وكلاهما يواجه الآخر بنظرات نارية متحدية ، قبل

أن يقول ( مجدى ) في صرامة :

— فليكن يا ( نديم ) .. سنعكس اللعبة ، وسأعمل بنفسى على

إطلاق سراحك هذه المرة ، ولكن فلتعلم أننى قد أمسكت طرف الخيط ،

وعرفت ما الذى يسمي إليه ( العقرب ) هذه المرة .. أو على الأقل أين

يسمى ، وسأضيق عليه الخناق ، حتى أوقع به تلبسا ، وعندئذ سأفعل

ما أتمناه منذ زمن .

وأطبق قبضته ، مستطرذا في غضب :

— سأسحقه .

وكان يعنى ما يقول .

## ٢ — المجرمون ..

مرة أخرى قفز ( كامل شكرى ) يلتقط سماعة الهاتف ، في ردهة

منزل الدكتور ( جمال ) ، ويضعها على أذنه ، هاتفا :

— من المتحدث ؟

انعقد حاجباه كالمعتاد ، وهو يستمع إلى محدثه في صمت ، قبل أن

يقول :

— حسنا .. اترك أحد الرجال لمراقبة القسم ، وانطلق بنفسك خلف

الحامى والفتاة .

قالها وأعاد السماعة إلى موضعها في عنف ، وعاد ينفث دخان سيجاره

في توتر وعصبية ، فاقتربت منه زوجة ( جمال ) ، وهى تفرك كفها في

عصية ، قائلة :

— ماذا حدث ؟ .. هل ( جمال ) بخير ؟

لوح بكفه ، قائلا :

— ما زالوا يحتجزونه في القسم ، وأنا أجهل لماذا ، ولكنهم أفرحوا

عن ( العقرب ) بوزميلته ، و ..

قاطعته في انزعاج :

— هل أطلقوا سراح ( العقرب ) ؟!

زفر في حنق ، وهو يدرك جهلها بما تقول ، في حين استطردت هى

— ألا يعرضنا هذا للخطر ؟! .. أليس من الأفضل أن ..

قاطعها هو هذه المرة ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلاً في صرامة :  
— انتظري عودة زوجك يا سيدتي ، وأبلغيني هاتفياً فور عودته  
هتفت به :

— وماذا لو حاول الفرار مرة أخرى ؟  
أجابها في غلظة :

— فليذهب إلى الجحيم .

وغادر الفيلا في عصية بالغة ، تاركاً الزوجة خلفه في حيرة . وصفق  
الباب في عنف ، ثم دلف إلى سيارته ، وهو يقول لسائقه في حدة :  
— هيا .. دعنا ننصرف من هذا المكان اللعين .. هيا ..  
انطلق السائق بالسيارة في صمت ، في حين راح ( كامل ) ينفث دخان  
سيجاره في قوة ، وفي أعماقه يدور سؤال مخيف متكرر ..  
لماذا احتجزوا ( جمال ) ، وأطلقوا سراح ( نديم ) و ( غادة ) ؟ ..  
لماذا ؟ ..

\*\*\*

أريد أن أعرف لماذا ؟ ..

نطق ( جمال ) هذه الجملة في عصية بالغة ، وهو يتطلع إلى وجه  
( مجدي ) ، الذي بدا له صارماً غاضباً ، وهو يجيب سؤاله في خشونة  
مخيفة :

— لأنني أحتاج إلى استجوابك يا دكتور ( جمال ) .. ألا يبدو لك هذا  
جواباً كافياً ، لسؤالك الخاص باحتجازك هنا ؟

قال ( جمال ) في عصبية :

— ولماذا تستجوبتي ؟ .. إنني المنجى عليه ، ولست الجاني !! ..

أجابه ( مجدي ) بنفس الخشونة :

— أريد أن أعرف لماذا حاول الرجلان قتلك ؟

ثم مال نحوه بغتة ، مضيفاً :

— ولماذا يطارذك ( العقرب ) ؟

شحب وجه ( جمال ) في شدة ، ولم يغب شحوبه عن عيني

( مجدي ) ، الذي يراقب ردود أفعاله في اهتمام وخبرة ، قبل أن يتمم

( جمال ) في توتر :

— من ( العقرب ) هذا ؟

ابتسامة ( مجدي ) امتلأت بالظفر هذه المرة ، وتراجع بمقعده ، وهو

يقول :

— عجباً ! .. ومن أخبرك أن ( العقرب ) هذا اسم لشخص ، وليس

مجرد عقرب حقيقي ؟

ارتبك ( جمال ) في شدة ، وهو يقول :

— ماذا تعني ؟

مال ( مجدي ) نحوه مرة أخرى في حدة ، على نحو أفرع ( جمال ) ،

وجعله يتراجع بوجهه في توتر ، و ( مجدي ) يقول بخشونته الخفيفة :

— أعني أنك قد استخدمت في سؤالك لفظ ( من ؟ ) ، ولم تستخدم

( ما ؟ ) ، وهذا يعني معرفتك أن ( العقرب ) شخص حي .

مضت لحظة من الصمت ، ارتسم الرعب خلالها في عيني ( جمال ) ،

قبل أن يقول في عصبية :

— هذا لا يعنى شيئاً .. إنه مجرد خطأ لفظي ، ولست خبيراً باللغة العربية ، لتحاسبنى على خطأ كهذا .

رمقه ( مجدى ) بنظرة غاضبة ، قبل أن يتراجع ثانية ، ثم ينهض من مقعده ، ويدور حول ( جمال ) في بطاء ، ثم يسأله من خلف ظهره بغتة :

— ماذا يحدث في شركة البترول يا دكتور ( جمال ) ؟

أدرك أنه قد أصاب هدفه مباشرة ، عندما ارتجف جسد ( جمال ) في شدة ، وكاد يسقط عن مقعده ، لولا أن تشبث به في قوة ، وترنح خبطة ، ثم أجاب في صوت متحشرج محتق ، يشف عن انفعال جارف :

— ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟ .. كل شيء في الشركة يسير على ما يرام .. لقد تأكد الجهاز المركزي للمحاسبات من هذا ، وراجع بنفسه كل الأوراق ، و ..

قاطعته ( مجدى ) في صرامة :

— وماذا عن الأمور الأخرى ، التي لم يكشف الجهاز المركزي للمحاسبات أمرها ؟

صاح ( جمال ) في حدة :

— أية أمور أخرى ؟ .. هل تهمنى بأشياء محدودة أيها العقيد ؟ .. أظن من حقى استدعاء محامى الشركة ، في هذه الحالة .

اعتدل ( مجدى ) ، وقال في حنق واجد :

— لا .. لست أتهمك بشيء يا دكتور ( مجدى ) .. لقد تم استجوابك ، ويمكنك الانصراف إلى منزلك الآن .

هَبَّ ( جمال ) من مقعده ، وهو يتف في عصبية :

— بالطبع .. سأرحل على الفور .

واندفع مغادراً الحجره ، خشية أن يتراجع ( مجدى ) في قوله ، فأشار

( حسن ) إلى الباب ، الذى صفقه ( جمال ) خلفه ، وقال :

— هل أرسل خلفه من يراقبه ؟

هزَّ ( مجدى ) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. من الواضح أن هذا لن يفيدنا كثيرًا .

وصمت لحظة مفكرًا ، قبل أن يضيف :

— ولكننى سأبدأ في مراجعة ملف شركة البترول هذه ، بحثًا عما

يسمى ( العقرب ) خلفه ، وبهذه الطريقة قد يمكننا ضبط مخالفة قانونية

رهية ، و ..

صمت لحظة أخرى ، ثم أضاف في سخط :

— والإيقاع بـ ( العقرب ) ، في الوقت نفسه ..

\*\*\*

أطلقت ( غادة ) ضحكة مرحة ، وهي تقود السيارة ، وإلى جوارها

يجلس ( نديم ) في استرخاء ، وهتفت في إعجاب :

— يالها من فكرة بسيطة وذكية يا ( نديم ) ! .. كيف خطرت ببالك

في القسم ؟

أجابها في تراخ ، وهو يريح رأسه على المسند الخلفى لمقعده :

— كان الأمر أبسط مما تتصورين ، فلقد لاحظت ذلك التجويف .



المختفى بين النافذة وإطارها ، وتظاهرت بالاستناد إلى الإطار ، ووضعت  
القناع والبطاقات داخل التجويف ، وبعدها كان من السهل استعادتهما  
عند انصرافنا .

سألته ضاحكة :

— أكنت تعلم أنهم سيقومون بتفتيشك ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

— كان هذا احتمالاً وارداً بالطبع .

عادت تسأله في مرح :

— ألم تخش أن يعثر عليها أحد ؟

أجابها في هدوء :

— لا .. لم أخش هذا ، فالقناع أسود اللون ، ولقد أحطت البطاقات  
به ، ووضعت في تجويف مظلم ، لا يمكن أن يتتبع إليه سواى .  
هزّت رأسها في إعجاب ، واختلست نظرة إليه ، قبل أن تقول في  
هيام :

— هذا هو ( نديم ) الذى أعرفه ، هادئ ، وذكى ، ودقيق .

كانت واثقة بأنه قد انتبه إلى رنة الحب في قولها ، على الرغم من صمته ،  
وتجاهله التام لهذا ، وإسباله جانيه ، فأضافت في لهجة شبه رسمية :  
— والآن .. ماذا تقترح ، بعد أن فشلت في معرفة السر من  
( جمال ) ؟

تطلّع إلى ساعته ، وقال :

— أقترح أن نحاول الاستفادة بالساعات الثلاث الباقية ، قبل مطلع الشمس .

سألته في اهتمام :

— كيف ؟

أجابها في هدوء :

— نزور ( أشرف ) في منزله مثلاً .. إنه يقيم بالتقرب من هنا ، في

الطابق الأخير من بناية ضخمة .

سألته في قلق :

— ألا ترى معى أنها مخاطرة كبيرة ؟ .. لقد تركنا ( مجدى ) منذ

قليل ، و ..

قاطعها في هدوء :

— هذا بالضبط هو الذى دفعنى إلى الاقتراح ؛ فلن يتوقع ( مجدى )

أو أفراد العصاة البرولية أن نضرب ضربتنا الثانية بهذه السرعة ، وفي مثل  
هذه الظروف .

تطلّعت إلى مرآة سيارتها ، وقالت :

— أخالفك القول هذه المرة ، فمن المؤكّد أن ( مجدى ) قد أرسل

رجاله خلفنا ، وإلا فكيف تفسّر وجود هذه السيارة ، التى تطاردنا ، منذ  
مغادرتنا قسم الشرطة .

انعقد حاجباه ، واعتدل في حركة مفاجئة ، ثم أمسك مرآة السيارة ،

وأماها لتلاطم موقعه ، وألقى نظرة طويلة على السيارة الكبيرة ، التى تتبع  
سيارة ( غادة ) ، قبل أن يعيد المرآة إلى موضعها ، قائلاً :

— إنه ليس ( مجدى ) .

ألقت نظرة سريعة على المرآة ، وقالت في قلق :

— ماذا تعنى بأنه ليس  
( مجدى ) ؟ .. أتقصد أن هؤلاء  
الذين يتبعوننا ، ليسوا من رجال  
الشرطة .

أجابها في هدوء :

— بالطبع .

كادت تهتف به :

— كيف عرفت ؟

ولكنه وفر عليها إلقاء السؤال ،

واستطرد في حزم :

— الشرطة لا تمتلك سيارات فاخرة كهذه ، ثم إنها لا ترسل أربعة  
رجال دفعة واحدة ، لمراقبة شخصين ، أليس كذلك ؟

أومأت برأسها موافقة في قلق ، وغمغمت :

— في هذه الحالة أظن أننا في خطر .

أجابها في هدوء :

— بالنسبة إليّ لست أظن هذا .

كانت السيارة قد اقتربت منهما كثيراً ، عندما أضاف :

— أنا واثق منه .

ولم يكذب يتم عبارته ، حتى اندفعت السيارة إلى جوارهما ، وانحرفت  
نحوهما انحرافاً حاداً ..

وقائلاً ..

\*\*\*

### ٣ — ضربة عند الفجر ..

عندما انحرف ( وجيه ) بسيارته الضخمة ، نحو سيارة ( غادة )  
الرياضية ، كان يلمح ( غادة ) وهي تقود السيارة ، وكان يتصور أنه  
سيسحق ( غادة ) وسيارتها بضربة واحدة ، ثم يمضى في طريقه ؛ ليؤف  
ل ( كامل شكرى ) بشرى القضاء على خصمه اللدود ..

ولكن ( غادة ) خيّت ظن ( وجيه ) ..

لقد أدركت على الفور أن ( وجيه ) سينحرف بسيارته نحوها ،  
فضغطت كاح السيارة في حزم ، وخفضت سرعة السيارة على نحو  
مباغت ، جعل سيارة ( وجيه ) تسبقها بعدة أمتار ، ثم تحرف أمامها في  
عنف ..

وفي صوت قوى ، يموج بالحماس ، قال ( نديم ) :

— حركة رائعة يا ( غادة ) ، والآن تعلقى بمؤخرة سياراتهم ،

ولا تسمحى لهم بالعودة إلى جوارنا مرة أخرى .

نفذت ما طلبه منها ، وهي تقول في قلق :

— ولكنهم سيقطعون نيران أسلحتهم نحونا من الخلف .

التقط جقيبتها ، وانتزع منها مسدسها الصغير ، قائلاً :

— ليس عندما أستعير مسدسك .

كان رجال ( وجيه ) يستعدون لإطلاق النار عليهما من الخلف

بالفعل ، عندما أطلق هو رصاصة من مسدس ( غادة ) ، انفجر إثرها

الإطار الأيمن الخلفى للسيارة ، ودوى صوته كقبلة لى الظلام ، وانحرفت  
سيارة ( وجيه ) يمينا فى عنف ، فهتف ( نديم ) :  
— انطلقى إلى يسارهم يا ( غادة ) .. الآن .  
أطاعته دون تفكير ، وانطلقت إلى يسار سيارة ( وجيه ) ، الذى واجه  
( نديم ) مباشرة ، عبر نافذتى السيارتين ، فصرخ فى غضب :  
— لن تفلت أيها ال ..

قاطعته ( نديم ) برصاصة ثانية ، أطلقها على الإطار الأمامى الأيسر  
للسيارة ، فاحل توازنها تماما ، وأفلتت عجلة القيادة من يد ( وجيه ) ،  
الذى صرخ :  
— أيها الحقير .

ثم انحرفت به السيارة فى عنف ، وارتطمت بالحائط ، ثم توقفت محرّكها  
تماما ..

وضغطت ( غادة ) دواسة الوقود ، فى محاولة للابتعاد بأقصى  
سرعتها ، ولكنها فوجئت بـ ( نديم ) يهتف بها :  
— توقفى .

انتقلت قدمها ، فى حركة غريزية إلى كاح السيارة ، التى توقفت  
بصرير مفرع ، وهتفت ( غادة ) :  
— ماذا ستفعل ؟

قفز ( نديم ) من السيارة ، هاتفا :  
— أريد هذا الوغد .

اندفع فى خطوات سريعة نحو سيارة ( وجيه ) ، وهو يحمل مسدس  
( غادة ) ، واقترب من السيارة فى حذر ، حتى تأكد من أن ركبها الأربعة  
فاقدو الوعى ، فانتزع ( وجيه ) من خلف عجلة القيادة ، وقيد معصميه  
خلف ظهره ، ثم حمله على كتفه ، وعاد به بسرعة إلى سيارة ( غادة ) ،  
فألقيه على أريكتها الخلفية ، وسمعها تهتف :  
— ماذا ستفعل به ؟

أجابها وهو ينتقل إلى مقعده المجاور لها :  
— لو صحت ذاكرتى ، فهذا الوغد هو ( وجيه سمعان ) ، أحد أخطر  
مجرمى ( مصر ) ، منذ عشر سنوات .  
سألته وهى تنطلق بالسيارة مبتعدة :

— وماذا ستفعل به ؟

أجابها فى حزم :

— سأستجوبه .

كان جوابه المقضب كافيا ، فلاذت بالصمت تماما ، وواصلت  
انطلاقها بالسيارة بعض الوقت ، ثم سألته فى توتر :

— أما زلت مصرا على زيارة ( أشرف ) ؟

تطلع إلى ساعته ، ثم أجاب فى هدوء :

— لست أظننا سنجد وقتا أفضل من هذا .

وعاد يسترخى فى مقعده ..

كانت ليلة شديدة المثل ، بالنسبة لحارس البناية الفاخرة ، التي يقيم فيها المهندس ( أشرف ) ، فلقد عاد جميع سكان البناية إلى منازلهم ، في وقت مبكر ، وأغلق هو الأبواب قبل منتصف الليل ، ولكنه اضطر للبقاء مستيقظاً ، مرتدياً زيه الخاص ، الذي سلمته إياه شركة الأمن ، المسئولة عن البناية ، خشية أن يمر أحد مسئولى الشركة ، في تفتيش مفاجئ ، كما حدث منذ أربعة أيام ..

ولقد خسر يومين من مرتبه في ذلك اليوم ، بسبب عدم ارتداء البترة الرسمية ، وهو غير مستعد لخسارة يومين آخرين ..  
وفي ضجر ، تناءب الحارس للمرة العشرين ، خلال ساعة واحدة ، وراح يقلب صفحات المجلة الفنية الحديثة بين يديه ، ويطالع صور الممثلين والممثلات في تراخ ، حتى سمع صوتاً صارفاً يقول :  
— اعتدل يا رجل .

ألقي الرجل مجلته ، واعتدل في سرعة ، والتفت إلى ذلك الرجل الصارم ، صاحب الشارب الأشيب الكث ، الذي يرتدى سترة خاصة ، تحمل شعار شركة الأمن ، والذي قال مستطرداً :  
— أتحرص البناية ، أم تطالع المجلات الفنية ؟  
ارتبك الحارس ، وقال :

— إنها وسيلة تضييع الوقت فحسب يا سيدي ، ولكنني لم أغادر موقعي كما رأيت .  
سأله الرجل :

— وماذا عن الطوابق العلوية ؟



ازدرد الحارس لعابه ، وقال :

— لن يصلها أى مخلوق ، مادمت أحرس المدخل يا سيدي .

مطّ الرجل شفّتيه ، وكأنما لم يرق له الجواب ، ثم أزاح الحارس من

أمامه ، وقال فى صرامة :

— افتح البوّابة .

أسرع الحارس يفتح البوّابة الأمامية ، فعبرها الرجل فى هدوء ، ثم

التفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

— عد إلى عملك .

أجابه الحارس فى توتر :

— بالطبع يا سيدي .. بالطبع .

أغلق البوّابة خلفه ، وراقبه فى قلق ، حتى أغلق المصعد خلفه ، ثم تنهّد

فى عمق ، وقال :

— حمدًا لله .. كنت متبهاً ومتيقظاً هذه المرة .

وعاد يطالع المجلة فى حذر ، وهو يختلس النظر إلى المصعد ، فى انتظار

عودة مفتش الشركة ، الذى استقل المصعد إلى الطابق الأخير ، وهناك نزع

شاربه الكشّ المستعار ، ووضع على عينيه قناع ( العقرب ) ،

وارتدى قفازيه ..

وبدأ العمل ..

وفى هدوء ودقة ، راح يعالج رتاج باب شقة ( أشرف ) الفاخرة ،

حتى استجاب له الرتاج ، وانفتح فى صمت ، فدفع الباب ، ودلف إلى

الشقة ، وأغلقه خلفه فى حرص ..

كانت أمامه ردهة واسعة ، شديدة الفخامة ، تجمع بين الثراء

والأناقة ، وحسن الذوق ، وتزدان جدرانها بلوحات جميلة ثمينة ، يحمل

بعضها توقيع مشاهير الفنانين المصريين ، مما جعل ( نديم ) يتمتم :

— لو أن الشقة كلها بهذه الصورة ، فثمنها لن يقل عن ثلاثة ملايين على

الأقل .

ثم تقدّم نحو ثلاث درجات رخامية ، تقود إلى ممر حجرات النوم ، وهو

يستطرد :

— ولست أظن مرتب ( أشرف ) يبلغ هذا الحد .

كانت تمتد أمامه ، عبر الممر ، خمس حجرات للنوم ، ولكنه تقدّم نحو

أبعدها عن الممر فى ثقة ، ودفع بابها فى حذر ..

كان يعلم — من تحرياته السابقة — أن ( أشرف ) يحيا وحده ،

ويخدمه خمسة من الخدم ، يقيم ثلاثة منهم فى نفس الشقة ، ويعود اثنان إلى

منزلهما بعد انتهاء العمل ..

وكان يعرف أيضاً ، فى أية حجرة يقيم ( أشرف ) ..

وعبر الحجرة الواسعة الفاخرة ، رأى فراش ( أشرف ) الوثير ، وهذا

الأخير يرقد فيه نائماً ، فدلف إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، واتجه إلى

الفراش على أطراف أصابعه ..

وفجأة سطعت الأضواء فى الحجرة ، وارتفع معها صوت صارم ،

يقول :

— هل أخطأت طريقك يا صاح ؟

التفت ( العقرب ) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى ( أشرف )

في ركن الحجره ، يصوب إليه مسدسًا ضخمًا ، في حين نهض أحد رجاله من الفراش ، وصوب بدوره مسدسًا آخر إلى ( العقرب ) ، وهو يقول في سخرية :

— لقد وقعت هذه المرة يا ( زوروا ) .

وأطبق الفخ فكبه ..

\*\*\*

تطلعت ( غادة ) إلى ساعتها في قلق ، وهي تغمغم لنفسها :

— ترى كم يستغرق بلوغ الطابق العلوي ، والإيقاع بـ ( أشرف )

هذا ؟

لم تكذ تم عبارتها ، حتى سمعت آهة ألم ، انطلقت من بين شفتي ( وجهه ) ، فالتفت إليه في حركة حادة ، ورأته يعتدل جالسًا ، على الأريكة الخلفية للسيارة ، ويحاول التملص من قيود معصميه في عصبية ، قبل أن يتطلع إليها ، قائلاً في حدة :

— ماذا فعلت لي ؟

أجابته في سخرية :

— كما ترى يا ملك اللصوص .. لقد فقدت الوعي ، واستيقظت

لتجد نفسك مقيد المعصمين في سيارتي ، فما رأيك ؟

قال في عصبية :

— رأي أنك ستدفعين ثمن هذا غاليًا .

أطلقت ضحكة ساخرة قصيرة ، وهي تقول :

— كيف ؟ .. بالعملة المحلية أم الصعبة ؟

قال في غلظة :

— ما رأيك لو أطلقت صرخات عالية ، جذبت رجال الشرطة إلى هنا ؟ .. كيف ستفسرين لهم وجودي داخل سيارتك مقيد المعصمين ؟

قالت في برود :

— أشكر لك تحذيري .

وفجأة ، وقبل أن ينتبه إلى ما سفعله ، هوت قبضتها على جبهته . فدار رأسه في ألم ، وهم بإطلاق سباب ساخط ، لولا أن أحاط منديل كبير بشفتيه ، وشعر بيد ( غادة ) تعقده في إحكام خلف رأسه ، وهي تقول ساخرة :

— كان يمكنك أن تفعل هذا بالطبع .. سابقًا .

راح يضرب المقعد بقدميه في سخط ، فرمقته بنظرة صارمة ، وهي تقول :

— اسمع .. لو لم تتوقف عن هذه الحركات الصيانية ، فسأبتر قدميك دون تردد .. هل تفهم ؟

كانت تتحدث بصرامة مخيفة ، حتى أنه توقف عن ضرب المقعد بقدميه بالفعل ، وتطلع إليها في قلق ، فابتسمت قائلة في سخرية :

— حسنًا فعلت .. إنني أحب الصبية المطيعين .

وتطلعت إلى ساعتها ، مستطردة :

— على الأقل حتى يعود الصبية الأخيار .

واكتسى صوتها بقلق وخوف مفاجئين ، وهي تضيف :

— هذا إذا عادوا ..

\*\*\*

كان الموقف دقيقًا بالفعل ..

لقد سقط ( العقرب ) في فخ حقيقي ..

فتح أعده له أحد أفراد العصابة ، وسقط هو فيه كفر ساذج ..



ولكن عقله — بطبيعته — كان يرفض فكرة الاستسلام ، وفكرة الخسارة ؛ لذا فقد عقد ساعديه أمام صدره في هدوء ، وقال محاولاً تغيير نبرات صوته بقدر الإمكان :

— إذن فقد كنتم تتوقعون حضوري .

أجابه ( أشرف ) في صرامة :

— كنت أعلم أنك ستهاجمنى لا محالة ، ما دمت قد هاجمت

( رضوان ) ، وكنت أنتظرك منذ ذلك الحين .

قال ( العقرب ) في هدوء :

— تفكير ممتاز أيها المهندس .. ترى أهو نفس الأسلوب ، الذى

اتبعت ، فى سرقة البترول ؟

ابتسم ( أشرف ) فى سخرية ، وقال :

— لن يمكنك أبداً التوصل إلى الأسلوب العبقري ، الذى نحصل به على البترول .

هز ( العقرب ) كتفيه ، وقال :

— من المؤكد أنه أسلوب عبقري ، مادام الجميع قد فشلوا فى كشفه ، طوال هذه الفترة .

بدت علامات الزهو على وجه ( أشرف ) ، وهو يقول :

— إنه كذلك بالفعل .

شعر الرجل الآخر بالضجر ، فسأل ( أشرف ) فى قلق :

— هل نقتله ؟

أجابه ( أشرف ) فى حزم :

— ليس قبل استشارة ( كامل ) بك يا ( شندى ) .

قال ( العقرب ) فى هدوء :

— إذن فى ( كامل شكرى ) هو زعيم العصابة .

عقد ( أشرف ) حاجبيه فى حدة ، وهو يقول :

— زعيم العصابة ؟! .. ياله من لفظ سخيف !

هز ( العقرب ) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

— ولكنها الحقيقة .. أليس كذلك ؟

وهنا قال ( شندى ) فى توتر :

— هل نخلع قناعه هذا إذن ؟

رفع ( أشرف ) كتفيه ، وقال :

— فكرة رائعة .

ثم أشار إلى ( شندى ) مستطرداً :

— هيا .. انزع قناعه .

وفى جذل عجيب ، اتجه ( شندى ) نحو ( العقرب ) ، وهو يصوب

إليه مسدسه ، ليخلع عنه قناعه الأسود ..

وعاد الخطر .

## ٤ - العصابة ..

ارتجف ( الدكتور ) ( جمال ) في شدة ، وهو يقف أمام ( كامل ) كامل  
شكري ) ، قبل ساعة واحدة من شروق الشمس ، وأخذ ( كامل )  
يتفحصه بنظره الصارمة الصامتة ، حتى كادت أعصاب ( جمال ) تنهار ،  
وهو يقول في عصبية :

— نعم .. لقد حاولت الفرار .. كلنا ينبغي أن نفعل هذا .. لماذا  
نبقى ؟ .. لقد جمعنا ما يكفي من الأموال ، ولدينا الملايين في بنوك  
( سويسرا ) ، فلماذا لانغادر البلاد في اللحظة المناسبة ، ونتمتع بأموالنا  
في الخارج ؟

أجابته ( كامل ) في صرامة :

— لأنك غبي .

تراجع ( جمال ) في دهشة ، وهو يقول :

— غبي ؟!

اعتدل ( كامل ) ، وهتف به في غضب :

— نعم يا ( جمال ) .. لأنك غبي .. ينبغي أن تعلم أن لعبتنا لا يمكنها

أن تنتهي بهذا الأسلوب ، فلو غادر أحدنا موقعه ، دون الاتفاق مع  
الآخرين ، فسيحتمل شخص آخر هذا الموقع ، مما يعرضنا جميعاً  
لأنكشاف أمرنا ، وسقوطنا ، وهذا يعني أن ما فعلته يعدّ خيانة  
يا ( جمال ) .. خيانة تستحق الموت ..

شحب وجه ( جمال ) ، وانكمش هاتفاً في رعب :

— لا .. لا يا ( كامل ) بك .. أرجوك .

وابتسم ( بكري ) في تشف ، وهو يجذب مشط مسدسه ، قائلاً :

— هل تأمرني بهذا يا ( كامل ) بك ؟

انهار ( جمال ) تماماً ، وسقط عند قدمي ( كامل ) ، وراح يقبلهما في  
رغب ، هاتفاً :

— الرحمة يا ( كامل ) بك .. الرحمة .

سأله ( كامل ) في برود :

— أعتقد أنك تستحق الرحمة يا ( جمال ) ؟

انهمرت دموع ( جمال ) في مرارة ، وهو يقول :

— كنت خائفاً يا ( كامل ) بك .. كنت خائفاً .

وعاد ( بكري ) يكرر :

— هل أنفذ الأمر ؟

ولكن ( كامل ) أشار إليه بالصمت ، وقال له ( جمال ) في ازدراء :

— حسناً يا ( جمال ) .. لن أقتلك .

انهمرت دموع ( جمال ) أكثر ، وهو يئلل بهما حذاء ( كامل ) ،

قائلاً :

— أشكرك يا ( كامل ) بك .. أشكرك كثيراً .

دفعه ( كامل ) بقدمه في ازدراء ، والتفت إلى ( بكري ) ، قائلاً :

— أعد مسدسك إلى غمده يا ( بكري ) .

مطّ ( بكري ) شفتيه في أسف ، وأعاد مسدسه إلى غمده ، في حين انتحي

( جمال ) ركناً ، وراح ييكي في مرارة ، و ( كامل ) يسأل ( بكري ) :



— ألم يعد ( وجيه ) بعد ، أو يتصل هاتفياً ؟

هز ( بكري ) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. ليس بعد .

نفث ( كامل ) دخان سيجارته في عصبية ، وقال :

— لماذا تبدو هذه الليلة ، وكأنها بلا نهاية ؟

وكان على حق ..

إن أحداث الليلة لم تنته بعد ..

ولا أحد يعلم متى ستفعل ..

\*\*\*

في اللحظات التي اتجه فيها ( شندی ) نحو ( العقرب ) ، كان هذا الأخير يلقي على نفسه سؤالاً محدودًا ..

لماذا كثر تعرّضه لنزع قناعه هذه المرة ؟ ..

ولأن عقله اعتاد الدقة والهدوء ، فقد أزاح هذا السؤال جانبًا مؤقتًا ،

وعاد يركّز تفكيره على الموقف ..

إنهم سينزعون قناعه الآن ، وسيكشفون حقيقة شخصيته ..

إلا إذا ..

وفجأة ، وقبل أن تبلغ أصابع ( شندی ) قناعه ، قال ( العقرب ) في

حزم :

— مهلاً ياسيد ( أشرف ) .. هل تعلم أولًا إلى أية جهة أنتمى ؟

ابسم ( أشرف ) في سخرية ، وقال :

— نعم .. لقد تحوّى ( كامل ) بك الأمر ، وعلم .. شخص مختل التفكير ، يتصوّر نفسه سيف العدالة في الأرض ، ويواجه الجريمة وحده ، و ..

قاطع ( العقرب ) في هدوء :

— هذا ما يشيعه زملاء في الشرطة .

تجمّدت يد ( شندی ) قبل أن تلمس قناع ( العقرب ) ، في حين انعقد

حاجبا ( أشرف ) في توتر ، وهو يرّد :

— الزملاء في الشرطة ؟

قال ( العقرب ) في هدوء :

— نعم يا سيد ( أشرف ) .. الزملاء في الشرطة .. لقد وقعت مع

رفاقتك في نفس الفخ ، الذي وقع فيه الآخرون ، عندما انطلت عليكم

خدعتنا ، وتصوّرتم أنني أعمل ضد رجال الشرطة ، ودفعك هذا إلى

الإدلاء باعتراف تفصيلي أمامي ، دون حذر .

تراجع ( أشرف ) ، هاتفًا في هلع :

— اعتراف ؟

أشار ( العقرب ) إلى ساعة يده ، قائلاً :

— نعم يا ( أشرف ) .. اعتراف نقله جهاز التسجيل الصغير في

ساعتي ، إلى بعض الزملاء ، في سيارة الأجهزة المساعدة ، أسفل البناية .

ورفع ساعته ، وكأنه يدعوها لرؤيتها ، مستطرذا في حزم :

— لقد وقعت يا رجل .

مال ( شندی ) بحركة غريزية ، ليتطلّع إلى الساعة ، وكذلك اقرب

منها ( أشرف ) ..

وهنا تحرك ( العقرب ) ..

تراجعت قبضته في حركة مباغتة ، لترتطم بأنف ( شندی ) كالقنبلة ،  
وتدفعه إلى الخلف في عنف ، ثم قفزت قدم تركزل المسدس من يد  
( أشرف ) ، الذي صرخ :

— إنها خدعة .

ودون أن يضيع ( العقرب ) لحظة واحدة ، انقضت مرة أخرى على  
( شندی ) ، وكال له لكمة عنيفة في معدته ، وثانية في أسنانه ، سقط لها  
الرجل فاقد الوعي ..

واندفع ( أشرف ) يحاول استعادة مسدسه : ولكن ( العقرب ) قفز  
نحوه مرة ثانية ، وركزل المسدس بعيدًا ، ثم أمسك معصم ( أشرف ) ،  
ولوى ذراعه خلف ظهره في قوة ، جعلت هذا الأخير يصرخ في ألم :

— إنك ستكسر ذراعي .

أجابه ( العقرب ) في صرامة :

— صدقت .. إنني سأفعل حتمًا ، لو لم تخبرني بالوسيلة ، التي

تختلسون بها البترول .

هتف ( أشرف ) في ألم :

— إنها فكرة ( كامل ) .. أقسم لك إنها فكرته .. هو الذي أقتنا

جميعًا بها .

شدد ( العقرب ) ضغطه على ذراع ( أشرف ) ، وهو يسأله :

— وما هي هذه الفكرة ؟

أجابه ( أشرف ) ، وهو يتأوه ألمًا :



— إنه فارق أسعار الـ ...

وقبل أن يتم عبارته ، اندفع خدم ( أشرف ) الثلاثة داخل الحجرة ، وهتف أحدهم في دعر :

— ما هذا ؟ .. من أنت ؟

وصرخ ( أشرف ) :

— هاجموا يا رجال .. انقدوني من هذا اللص .

واندفع الرجال الثلاثة نحو ( العقرب ) بلا تردد ..

وفي قوة ، دفع ( العقرب ) ( أشرف ) في وجه الخدم الثلاثة ، ثم ركل وجه أحدهم بقدمه ، وقفز متجاوزًا الآخرين ، واندفع خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم أسرع يغادر المكان ، وهو يسمع ( أشرف ) يصرخ خلفه :

— ألقوا القبض عليه .. امسكوه .

ولكن ( العقرب ) قفز داخل المصعد ، وخلع قناعه وقفازيه ، وهو يهبط به إلى أسفل ، وأعاد السترة والشارب الكث المستعار ، وهو يغمغم في ضيق :

— لماذا تفشل اللعبة دائمًا ، في اللحظة التي أكاد أبلغ فيها الحقيقة ؟

بلغ الطابق السفلى في سرعة ، ولم يكد حارس البناية يراه ، حتى اعتدل في احترام ، وسأله :

— هل وجدت شيئًا يا سيدي المفتش ؟

مط ( العقرب ) شفثيه ، وقال :

— لا .. كل شيء على ما يرام .

وغادر المكان في خطوات سريعة ، مستطرًا :

— افتح عينيك جيدًا .

أجابه الحارس :

— سأفعل يا سيدي .. سأفعل بالتأكيد .

ولم يكد ( العقرب ) يغيب عن عينيه ، حتى تنفس الصعداء ، وتمتم :

— حمدًا لله .. كل شيء سار على ما يرام هذه المرة .

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى هبط خدم ( أشرف ) في المصعد

الآخر ، وصاح به أحدهم :

— هل شاهدت شخصًا يغادر البناية الآن ؟

أجابه في قلق :

— نعم .. إنه مفتش شركة الأمن ، و ..

قاطعته الخادم في سخط :

— بل هو لص .. أبلغ الشرطة بسرعة ..

وكاد الحارس يفقد وعيه ..

أما ( نديم ) ، فقد خلع السترة والشارب المستعار ، وهو يتجه نحو

سيارة ( غادة ) ، التي لم تكد تلمحه ، حتى هتفت :

— لماذا تأخرت ؟ .. لقد أصابني قلق شديد .

ألقي نظرة لا مبالية على ( وجيه ) ، الذي يجلس في المقعد الخلفي ،

وقال وهو يجلس إلى جوارها في هدوء :

— حدث ارتباك بسيط في الأحداث .

انطلقت بالسيارة على الفور ، وهي تسأله :

— ارتباك بسيط !؟

أجاب في هدوء :

— إلى حد ما .

سأله في اهتمام :

— وماذا عن السر ؟ .. هل حصلت عليه ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلاً للأسف .

ثم ألقى نظرة جانبية على ( وجيه ) ، وأضاف :

— ولكن لدينا فرصة أخرى .

واسترخى في مقعده ، مستطرذا :

— هيا يا عزيزي .. انطلقى بنا إلى منطقة هادنة ، فلدينا حديث طويل

مع هذا الوغد .

وأسبل جفنيه في هدوء ..

\*\*\*

انعقد حاجبا ( مجدى ) في شدة ، وهو يستمع إلى خدام ( أشرف ) ،

قبل أن يسأل أحدهم في توتر :

— ألم يترك بطاقة خلفه ؟

حدق الخادم في وجهه بدهشة ، وهو يردد :

— بطاقة !؟

لوح ( مجدى ) بكفه ، قائلاً :

— حسناً .. لا عليك .. إنه مجرد سؤال .. هيا .. انصرف .

انصرف الخادم من أمامه ، في حين اقترب منه الرائد ( حسن ) ، وقال :

— من الواضح أن ( العقرب ) لم يهدأ هذه الليلة .

تمم ( مجدى ) في حنق :

— إنه لم يضع لحظة واحدة .

ثم التفت إلى ( أشرف ) ، وقال في عصبية :

— سيّد ( أشرف ) .. أتراهن أنني أستطيع تخمين جهة عملك ؟

تطلّع إليه ( أشرف ) في دهشة ، فأضاف بعصبية أكثر :

— إنك تعمل في شركة ( ..... ) للبتروول .. أليس كذلك ؟

حدق ( أشرف ) في وجهه بدهشة ، وهتف :

— كيف علمت ؟

عقد ( مجدى ) حاجبيه في شدة ، وهو يقول :

— الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء ياسيّد ( أشرف ) ، فمن

الواضح أن ( العقرب ) يتقنى مديري هذه الشركة لهجمات هذه المرة .

شحب وجه ( أشرف ) ، وهو يغمغم :

— يتقنيهم !؟ .. هل هاجم ( عماد ) و ( جمال ) أيضاً ؟

برقت عين ( مجدى ) ، وهو يقول :

— إذن فأنت تعرف ( جمال ) ؟

ارتبك ( أشرف ) ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. إنه زميل عمل .

سأله ( مجدى ) :

— ومن ( عماد ) هذا ؟

أجابه في توتر :

— إنه مدير الإنتاج والمتابعة في الشركة .

تطلّع ( مجدى ) إلى الردهة البالغة الفخامة ، وهو يسأله :

## ٥ — أول الخيط ..

كان الشفق قد تلون بألوان الشروق الجميلة ، عندما أوقفت ( غادة )  
سيارتها عند سفح الهرم ، والتفتت إلى ( وجيه ) تقول :  
— نهاية الخط يا صاح .

بدا التوتر على ملامح ( وجيه ) ، في حين غادر ( نديم ) مقعده ، وفتح  
الباب الخلفى للسيارة ، وجذب ( وجيه ) خارجها ، قائلاً في صرامة :  
— هل أصابك الصمم يا رجل ؟ .. ألم تسمع ما قالت زميلتى ؟  
ثم مَدَّ يده إلى ( غادة ) ، مستطرداً :

— هلاً أعرتنى مسدسك الصغير يا عزيزتى ؟  
ناولته ( غادة ) مسدسها ، ونزعت الكمامة عن فم ( وجيه ) ، الذى  
قال فى عصبية واضحة :



— وهل يحيا مثلك ، ومثل ( رضوان ) ، فى مكان فاخر كهذا ؟  
أجابه ( أشرف ) فى ارتباك :  
— إننى أمتلك مكتباً هندسياً معروفاً ، و ( عماد ) متزوج من سيّدة ثرية .  
ابتسم ( مجدى ) ابتسامة عصبية ، وهو يقول :  
— بالطبع .. كل منكم لديه ما يبرّر الثراء الزائد .. هذا أكيد .  
ثم التفت إلى الرائد ( حسن ) ، وأضاف :  
— هيا يا ( حسن ) .. دعنا لا نخسر الجولة القادمة .. أرسل رجالنا  
لمراقبة محل إقامة ( عماد ) هذا ، قبل أن يضرب ( العقرب ) ضربته  
التالية .. سيخبرك السيّد ( أشرف ) بعنوانه الآن .. أليس كذلك يا سيّد  
( أشرف ) ؟

أجابه ( أشرف ) متوتراً :  
— بلى سأخبره بالطبع .  
سأله ( مجدى ) :  
— أهنالك شخص آخر ؟  
كاد ( أشرف ) يخبره باسم ( كامل شكرى ) إلا أنه أمسك لسانه فى  
اللحظة الأخيرة ، وهو يجيب :  
— لا .. لا يوجد سوى ( عماد ) .  
هتف ( مجدى ) فى حماس :  
— عظيم .. هذا سيجعل الأمر محدوداً .  
غمغم ( أشرف ) :  
— بالطبع .. سيجعله محدوداً .  
ولكنه كان يشعر بقلق شديد ..  
ويخوف بلا حدود ..

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

صوب ( نديم ) المسدس إلى رأس ( وجيه ) ، وقال في برود :

— ألم تفهم بعد يا رجل ؟ .. إننا سننسف رأسك هنا .

امتقع وجه ( وجيه ) ، وقال بمزيد من العصبية :

— أراهن أنك تحاول إخافتي فحسب .

جذب ( نديم ) إبرة المسدس ، وقال :

— فليكن ، ولكنك لن تربح هذا الرهان .

كان يبدو صارمًا حازمًا ، حتى أن ( وجيه ) شعر بخوف حقيقي ،

جعل العرق يتصبب على جبينه ، وقلبه ينبض في عنف ، وهو يلتفت إلى

( غادة ) ، قائلاً :

— أهو صادق في قوله هذا ؟

ابتسمت في سخرية ، وقالت :

— ستعرف بعد لحظة واحدة .

وألصق ( نديم ) فوهة المسدس بجهة ( وجيه ) ، قائلاً في برود :

— رداً على الوغد .

صرخ ( وجيه ) :

— لا .. لا .. لا تطلق النار .

سأله ( نديم ) في برود :

— ومن سيمعنى ؟

هتف ( وجيه ) :

— أنا .

ثم استدرك في سرعة :

— يمكنني أن أدفع الثمن .

قال ( نديم ) في هدوء :

— لست أحتاج إلى المال .

أجابته ( وجيه ) في سرعة :

— لدى ما ترغب في معرفته على الأقل .

عقد ( نديم ) حاجبيه ، وأعاد إبرة مسدسه إلى موضعها ، وهو

يقول :

— مثل ماذا ؟

أجابته في سرعة :

— إنني أعرف اسم الرجل ، الذي قتل زميله ، في منزل الصحفي ..

إنه ( بكرى ) .. ( بكرى عريان ) .. إنني مستعد للاعتراف بهذا .

أشار ( نديم ) إلى ( غادة ) ، قائلاً :

— احضري جهاز التسجيل الصغير ، فسيُجَل صديقنا هذا

اعترافه .

أحضرت ( غادة ) جهاز التسجيل ، وأدنته من فم ( وجيه ) ، الذي

أسرع يدلي باعتراف تفصيلي ، عن إرساله رجلين للقضاء على صحفي

يدعى ( أحمد عبد الغفار ) ، وكيف أن أحدهما قتل رفيقه ، وحاول

إلصاق التهمة بـ ( العقرب ) ، ولم يكذب حتى أوقفت ( غادة )

التسجيل ، وسأله ( نديم ) في هدوء :

— هذا الاعتراف يفيد ( العقرب ) يا رجل ، ولكن ماذا عنى أنا ؟

سأله في توتر :

— وما الذى ترغب في معرفته ؟

عاد ( نديم ) يجذب إبرة مسدسة ، وهو يقول :

— كيف يجتلس ( كامل شكرى ) ورفاقه البترول ؟

أجابه ( وجيه ) فى انفعال وخوف :

— لست أدرى شيئاً عن هذا .. أقسم لك .. كل ما علمته

بالمصادفة ، هو أن الدكتور ( جمال ) هو الذى يجعل الأمر سهلاً ، وأن

( كامل ) بك هو الذى اتفق مع شركة البترول الأجنبية .

عقد ( نديم ) حاجبيه ، وقال :

— أهذا كل ما تعرفه ؟

كاد الرجل ييكنى ، وهو يقول :

— أقسم لك أن هذا كل ما أعرفه .. أقسم لك .

أوماً ( نديم ) برأسه موافقاً ، وقال :

— إننى أصدقك .

وفى نفس اللحظة عادت ( غادة ) تحيط فم ( وجيه ) بالكمامة ، وهى

تقول ساخرة :

— المهم أن يصدقك رجال الشرطة .

وأدرك ( وجيه ) أنه سيلتقى قريباً برجال الشرطة هؤلاء ..

قريباً جداً ..

\*\*\*

« إننى لم أعد أحتمل .. »

صاح ( عماد ) بهذه العبارة ، وسط قاعة الاجتماعات الخاصة ،

الملحقة بمكتب ( كامل شكرى ) ، الذى عقد حاجيه فى صرامة ، وهو

يتطلع عبر نافذة مكتبه ، ثم التفت إلى المديرين الأربعة ، الذين يجثون

مقاعدهم حول مائدة الاجتماعات ، وقال فى صوت غاضب :

— لماذا لم تعد تحتمل يا ( عماد ) ؟ .. إنك على الأقل الوحيد بيننا ،

الذى لم يهاجمه ( العقرب ) بعد .

صاح ( عماد ) :

— لن أنتظر حتى يفعل .. لقد أيقظنى رجال الشرطة فى الفجر ،

وأخبرونى أننى مهدد بهجوم شخص مقنع ، وحذرونى منه ، وتركوأ بعض

رجالهم لحراسة الفيلا ، ولكن ذلك ( العقرب ) يجتاز دائماً كل رجال

الحراسة .

قال ( كامل ) فى صرامة :

— وماذا تقترح ؟

أجابه فى عصبية :

— أن نغادر البلاد ، كما أراد ( جمال ) .

عقد ( كامل ) حاجبيه ، على نحو مخيف ، وهو يقول :

— أهذا رأيكم جميعاً ؟

انكمش ( جمال ) فى مقعده ، فى حين قال ( رضوان ) فى توتر :

— نعم .. إنه رأينا جميعاً .

ران صمت رهيب ثقيل على المكان ، وارتسم التوتر على وجوه

الجميع ، حتى قطع ( كامل ) جبل الصمت هذا ، وهو يقول في صرامة :  
— فليكن .. سفادر البلاد .

سرى الارتياح في جو الحجره ، وتنفس الجميع الصعداء ، قبل أن  
يضيف :

— ولكن ليس بالسرعة التي تتصورونها .

قال ( أشرف ) في حدة :

— ماذا تعنى ؟ .. إن ذلك ( العقرب ) يطاردنا في إصرار ، وسيوقع  
بنا إن آجلاً أو عاجلاً ، وبقاؤنا يعنى المزيد من المخاطر .

قال ( كامل ) في صرامة :

— وفرارنا السريع هذا سيكشف لعبنا كلها ، وسيجعلنا مجرد  
مجرمين ، هاربين من القانون ، وربما استعان المسئولون بالبوليس الدولى  
( الإنتربول ) ، لإلقاء القبض علينا ، وإعادةتنا إلى هنا ، حيث يكون  
السجن مصيرنا .

قال ( جمال ) في تردد :

— لا توجد اتفاقية لتبادل المجرمين ، بين ( مصر ) و ( سويسرا ) ،  
ولو غادرنا البلاد الليلة ، فنكون في مأمن هناك ، مع مطلع فجر الغد .  
مضت لحظات أخرى من الصمت ، قبل أن يقول ( كامل ) في  
صرامة :

— فليكن .. سنرحل جميعاً في طائرة منتصف الليل ، إلى

( سويسرا ) .

وشرد ببصره ، مستطرذاً في غيظ :

— وسيؤلمنى كثيراً أن يجبرنا ذلك ( العقرب ) اللعين ، على إفساد  
عمل كل هذه السنين ، والقرار على هذا النحو .

غمغم ( جمال ) :

— هذا أفضل من قضاء ما تبقى من العمر خلف القضبان .

واقفه ( عماد ) بإيماءة من رأسه ، وتنهد ( رضوان ) في عمق ، في

حين قال ( أشرف ) :

هذا صحيح .

مطاً ( كامل ) شففيه ، وقال :

— فليكن .. الليلة ، ومع منتصف الليل تماماً ، تنتهى لعبنا .

وعاد يشرد ببصره ، مستطرذاً :

— وإلى الأبد ..

\*\*\*

عقد عم ( أحمد ) ، العامل الخاص بمكتب ( نديم ) حاجيه ، عندما  
رأى ( مجدى ) أمام باب المكتب ، وهو يسأله بخشونته المعهودة :

— هل وصل ( نديم ) في مواعده اليوم ؟

أجابه عم ( أحمد ) في ضيق :

— بالطبع .. وما الذى يدعوهُ للتأخير ؟

قال ( مجدى ) ، وهو يندفع نحو مكتب ( نديم ) :

— الليلة الماضية .. لقد كانت حافلة للغاية .

هتف به ( أحمد ) :



— مهلاً .. ينبغي أن أبلغ السيد ( نديم ) أولاً ، و ..  
ولكن ( مجدى ) اقتحم الحجرة فى غلظة ، وأدهشه أن وجد ( نديم )  
خلف مكتبه ، أنيقاً هادئاً كعادته ، وأحسقه أن استقبله ( نديم ) فى برود ،  
قائلاً :

— مرحباً يا ( مجدى ) .. ألم يكن من اللائق أن تطرق الباب أولاً ؟  
جلس ( مجدى ) على المقعد المقابل لمكتب ( نديم ) ، وهو يقول فى  
عصية :

— لقد تركت اللياقة لك .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

— ول ( العقرب ) :

تطلع إليه ( نديم ) فى هدوء مثير ، قبل أن يسأله :

— هل ( العقرب ) هو سبب زيارتك هذه ؟

— تجاهل ( مجدى ) السؤال ، وقال :

— هل تعرف مجرمًا يدعى ( وجيه سمعان ) ؟

قال ( نديم ) فى هدوء :

— إننى أذكره ، من أيام عملي بالشرطة .

قال ( مجدى ) بسخرية عصية :

— عجباً !! .. كنت أظنك قد التقيت به فجر اليوم ، وتركته مقيداً

ومكتمًا عند سفح الهرم الأكبر ، وفى جيبه شريط تسجيل ، يحوى اعترافاً

تفصيلياً منه ، ينفى تهمة القتل عن ( العقرب ) .

سأله ( نديم ) فى هدوء :

— هل فعل به ( العقرب ) هذا ؟

قال ( مجدى ) فى حدة :

— إنه يتهمك أنت بهذا ؟

رفع ( نديم ) حاجبيه ، وهو يقول :

— أنا ؟! .. ولكننى كنت ..

قاطعته ( مجدى ) فى حدة :

— أعلم .. أعلم أنك أعددت كل شيء ، لتثبت بعدك عن مكان

الحادث بعشرات الكيلو مترات ، ولا أحد سيستمع إلى كلمة مجرم مثل

( وجيه ) ، أمام كلمتك أنت ، وخاصة مع عدم وجود دليل .. أعلم

هذا .

ثم نهض من مقعده ، مستطرداً :

— وإنما أردت إخبارك فقط .

قال ( نديم ) فى هدوء :

— فقط ؟!

قال ( مجدى ) فى عصية :

— لا .. مازالت هناك نقطة أخرى .. لقد راجعت ملف شركة

البتروول ، وأعلم أنه هناك أمر غير قانونى يحدث هناك ، ولكننى فشلت فى

كشفه ، وإن كنت واثقاً من أن ( العقرب ) يعلمه ، ويطارد مديري

الشركة لهذا السبب .

هز ( نديم ) كتفيه ، وقال :

— ربما .

رمقه ( مجدى ) بنظرة صارمة غاضبة ، قبل أن يلوّح في وجهه بسبّاته ، قائلاً :

— اسمع يا ( نديم ) .. مهما كانت الأسباب ، فليس من حق ( العقرب ) أن يتدخّل في أمور العدالة ، ولو حاول مهاجمة ( عماد ) ، كما هاجم الباقين ، فسيقع في يديّ حتماً .

لم ينبس ( نديم ) ببنت شفة ، حتى انتهى ( مجدى ) من قوله ، واندفع يغادر المكان في عنف كما دخله ، ولم يكذب يتعد ، حتى دفعت ( غادة ) باب مكتب ( نديم ) ، ودخلته قائلة في حق :  
— يال ( مجدى ) السخيف هذا ! .. لقد أيقظنى من نومى بصياحه .

قال ( نديم ) في هدوء :

— إنه يؤدى واجبه .

ألقت نفسها على أوّل مقعد صادفها ، وهى تسأله :

— هل عثر على ( وجيه ) ؟

أوما برأسه إيجاباً ، ثم مال يستد إلى مكتبه بمرفقيه ، وهو يقول :

— ولكن ( وجيه ) لم يتهم ( كامل ) مباشرة ، وهذا يعنى أن لعبتنا نحن

لم تنته بعد .

سألته فى تكاسل :

— هل توصلت إلى شيء ، بخصوص عملية اختلاس البترول ؟

أجابها :

— ليس بعد .

ثم تراجع بمقعده ، مستطرذا :

— المعلومات التى لدينا قاصرة للغاية .

غمغمت ( غادة ) :

— إنها طرف خيط على الأقل .

أغلق ( نديم ) عينيه ، وهو يفكّر فى عمق ، قائلاً :

— دعينا نراجع مالدينا ، فالذكور ( جمال ) قال : إنه أهم شخص فى

اللعبة كلها ، وإنه يحصل لهذا على نسبة أعلى من الآخرين ، وأيد ( وجيه )

قوله ، مضيفاً أن ( كامل ) هو الذى اتفق مع شركة البترول الأجنبية .

وأخيراً أشار ( أشرف ) إلى وجود فارق ما فى الأسعار ، يحقق هذا

الاختلاس ، فأى فارق هذا ؟

هزت ( غادة ) رأسها ، قائلة :

— لقد قضيت ساعة كاملة ،

فى التفكير فى هذا ، دون أن

أتوصل إلى شيء ما .

أجابها ( نديم ) :

— وأنا أيضاً ، فكمية

البترول خاضعة لمراقبة شديدة ،

تجعل من المستحيل تجاوزها ، أو

التقليل منها ، وسعة ناقلات

البترول مدروسة ومعروفة ،

ومن المستحيل بالفعل إقامة خط أنابيب فرعى ، فكيف يمكن اختلاس البترول ؟



ابتسمت ( غادة ) في سخرية ، وهي تقول :

— ربما يضيفون إليه بعض الماء ، ويحصلون على فارق الأسعار .

لم يستقبل الدعابة كعادته ، وإنما هز رأسه مستكزراً ، وهو يقول :

— مستحيل ، فالبتروال لا يمتزج بالماء ، كما أن هذا لا يفيد الشركة

الأجنبية ، ولو كان الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل أن يقول في حماس :

— بالطبع .. هذا هو التفسير المنطقي .

التفتت إليه ( غادة ) ، وهتفت به :

— هل توصلت إلى الوسيلة ؟

أجابها في حماس :

— نعم .. إنها وسيلة شيطانية ، ولكنها التفسير الوحيد لكل هذا .

صاحت :

— أخبرني بها بالله عليك .. هيا .. لن أحتمل الانتظار .

أجابها في اهتمام :

— سأخبرك بها بالطبع يا ( غادة ) ، ولكن ينبغي أن نتحرَّك في

سرعة ، وإلا أفلت الصيد من القفص .

وأخذ يروى ما توصل إليه ..

وكانت الخطة شيطانية ..

شيطانية بحق ..

## ٦ — السقوط ..

تطلَّع اللواء ( حلمي ) في قلق إلى ( مجدى ) ، الذى بدا شديد العصية ، وهو يقدِّم له ملف شركة البترول ، قائلاً :

— ما رأيك يا سيدي ؟ .. هناك انحرافات مالية خفية .. أليس كذلك ؟

أجابه اللواء ( حلمي ) :

— ربما يا ( مجدى ) ، ولكن أجهزة الدولة كلها لم تنجح في كشف هذه الانحرافات المالية ، ونحن نحتاج إلى دليل مادي قوى ؛ لإقناع وكيل النيابة بإصدار أوامر القبض ، على كل مديري الشركة دفعة واحدة .

أغلق ( مجدى ) الملف في حدة ، وهو يقول غاضباً :

— هذا ما يميِّزه عنا .

سأله اللواء ( حلمي ) :

— من تقصد ؟

أجابه في غضب :

— ( العقرب ) .. إنه يضرب ضربته ، دون الحاجة إلى أدلة مادية ،

أو تقارير من المعمل الجنائي ، أو أوامر قبض .. إنه يتحرَّك بالحرية ، التي نحتاج نحن إليها .

ابتسم اللواء ( حلمي ) في تعاطف ، وهو يقول :

— وهل تقبل العمل بأسلوب ( العقرب ) ؟

هتف ( مجدى ) :

— مستحيل ! .. إنه يخالف القانون .

رُبت ( حلمى ) على كفه ، وقال :

— القانون يا ولدى وسيلة لحفظ الحقوق والحريات ، وتلك التعقيدات الكثيرة فيه شديدة الأهمية ، لضمان العدل والحق ، ولكنه ككل القوانين البشرية الوضعية ، يحوى بعض الثغرات ، و ( العقرب ) يعمل لسد هذه الثغرات ، وتحقيق العدالة عبرها .

حدق ( مجدى ) فى وجهه بشدة ، وهتف :

— هل توافق على أسلوب ( العقرب ) يا سيدي ؟

هز ( حلمى ) كتفيه ، وقال :

— إنه لا يؤذى الأبرياء على الأقل .

صاح ( مجدى ) مستكراً :

— ولكنه يخالف القانون .

ابتسم اللواء ( حلمى ) ، وسأله فى حنان أبوى :

— ألم تراودك أحياناً الرغبة فى مخالفة القانون ؛ لتحقيق العدالة ؟

أجابه فى سخط :

— بل راودتنى كثيراً ؛ لإلقاء القبض على ( نديم ) ، وإثبات أنه

( العقرب ) .

تطلع إليه ( حلمى ) لحظات فى صمت ، ثم عاد يجلس خلف مكتبه ،

وقال :

— أتعلم يا ( مجدى ) .. لو أننى فى موضعك ، لما تعاملت مع

( العقرب ) بهذه العدوانية .

سأله ( مجدى ) فى ضيق :

— وكيف كنت ستعامل معه يا سيدي ؟

فاجأه جواب ( حلمى ) ، وهو يقول :

— كنت أعاونه .

صاح ( مجدى ) مستكراً :

— تعاونه ؟!

أجابه اللواء ( حلمى ) :

— نعم .. كنت أفسح له الطريق على الأقل يا ( مجدى ) ، حتى يوقع

من يعجز القانون عن الإيقاع بهم ، ما دام هذا يحقق العدالة .

صمت ( مجدى ) لحظات ، تطلع خلالها إلى اللواء ( حلمى ) فى

حيرة ، قبل أن يقول فى حدة :

— لا .. لا يمكننى هذا .

قال اللواء ( حلمى ) فى بساطة :

— ولم لا ؟ .. خذ قضية مثل قضية شركة البترول هذه .. إننا جميعاً

نشعر بوجود تلاعب مالى هناك ، ولكن كل الجهات الرسمية عجزت عن

إثبات هذا ، فى حين قد ينجح ( العقرب ) فى هذا .

لوح ( مجدى ) بذراعه ، هاتفاً فى سخط :

— ومن قال إنه سينجح ؟

ارتفعت طرقات منتظمة على الباب ، عند هذه اللحظة ، فقال اللواء

( حلمى ) :

— ادخل .

دخل إلى الحجرة شرطى ، تقدّم إلى حيث يجلس اللواء ( حلمى ) .  
وأدى التحية العسكرية لى احترام ، ثم ناول اللواء ( حلمى ) مظروفًا  
مغلقًا ، وهو يقول :

— رسالة خاصة لك يا سيّدى .

سأله اللواء ( حلمى ) ، وهو يلتقط منه المظروف :

— من أحضرها ؟

أجابه الشرطى :

— سيّدة عجوز ، قالت إنه خطاب شخصى لك .

أوما اللواء ( حلمى ) برأسه ، قائلاً :

— لا بأس .. يمكنك الانصراف .

انصرف الشرطى فى سرعة ، فى حين فضّ اللواء ( حلمى )

المظروف ، وهو يقول :

— ترى من أرسل هذا ال .. ؟

قبل أن يتمّ عبارته ، سقطت من المظروف بطاقة أنيقة ، اتسعت عينا

( مجدى ) ، وهو يحدّق فيها هاتفاً :

— ( العقرب ) .. إنها رسالة من ( العقرب ) .

كانت البطاقة تحمل رسم العقرب الذهبى فى وضوح ، مما جعل اللواء

( حلمى ) يلتقط الرسالة المرفقة بها فى هفة ، لم تبلغ حد هفة ( مجدى ) ،

وهو يسأله :

— ماذا يقول فى رسالته يا سيّدى ؟ .. ماذا يقول فيها ؟

قرأ اللواء ( حلمى ) الرسالة فى سرعة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو  
يهتف فى انفعال :

— يا إلهى ! .. إنه الحل يا ( مجدى ) .. لقد توصل ( العقرب ) إلى

الحل .

سأله ( مجدى ) فى انفعال شديد :

— حل ماذا ؟

ناول له اللواء ( حلمى ) الخطاب ، وهو يجيب :

— حل لغز عصاة البترول يا ( مجدى ) .. لقد فعلها ( العقرب ) ..

لقد فعلها .

وعندما اختطف ( مجدى ) الخطاب ، أدرك أن اللواء ( حلمى ) على

حق ..

لقد فعلها ( العقرب ) ..

فعلها فى مهارة ..

\*\*\*

انتهى ( بكرى ) من إعداد حقبة ( كامل ) ، والتفت إليه يسأله :

— هل تأمر بشيء آخر أيها الزعيم ؟

نفث ( كامل ) دخان سيجاره ، وهو يقول فى حدة :

— لا تستخدم هذا اللفظ مرة أخرى يا ( بكرى ) .

ابتسم ( بكرى ) ، قائلاً :

— فليكن يا سيّدى .. لن أستخدمه .

واقرب من ( كامل ) ، يسأله :

— أصبح أنك ستغادر البلاد إلى الأبد ؟

أجابه ( كامل ) في عصبية :

— نعم .. ولقد منحتك مكافأة سخية .. أليس كذلك ؟

قال ( بكرى ) ، في لهجة أقرب إلى السخرية :

— هل تراها حقًا سخية أيها الزعيم ؟

التفت إليه ( كامل ) ، وقال :

— لقد منحتك خمسين ألف جنيه دفعة واحدة .. ألا يكفيك هذا ؟

أجابه ( بكرى ) في غلظة :

— ليس عندما تنعم أنت بالملايين أيها الزعيم .

قال ( كامل ) في حدة :

— إنها نقودى .

أجابه ( بكرى ) :

— بل هي نقود الشركة ، لو توخينا الدقة .

تطلع إليه ( كامل ) لحظة في صرامة ، ثم سأله في حدة :

— ماذا تريد بالضبط يا ( بكرى ) ؟

أجابه في شراهة عجيبة :

— مليون جنيه .

هتف به ( كامل ) :

— مليون جنيه؟! .. هل جنت ؟

صاح به ( بكرى ) في غضب :

— لماذا ؟ .. لقد ساعدتك في الحصول على الملايين ، وفي حماية

ما حصلت عليه .. ألا أستحق في النهاية مليون جنيه ؟

مضت لحظات الصمت ، قبل أن يتسم ( كامل ) ابتسامة غامضة ، ويقول :

— بل تستحق الكثير يا ( بكرى ) .

ومدّ يده إلى جيب سترته ، مستطرذا :

— تستحق هذا .

وفي حركة سريعة ، انتزع من جيب سترته مسدسًا ، أطلقه على صدر

( بكرى ) بلا تردد ، فجحظت عيناه هذا الأخير ، وانفجرت شفثاه لينطق

بشيء ما ، إلا أنه لم ينطق به قط ؛ فقد هوى عند قدمي ( كامل ) جثة

هامدة ..

وفي ازدراء دفع ( كامل ) جثة ( بكرى ) بقدمه ، وقال :

— هذا جزاء الطمع أيها الغبي ..

أتى صوت صارم من خلفه ، يقول :

— أتظن هذا ؟

التفت في حدة وذعر إلى مصدر الصوت ، ورأى قدمًا ترتفع في سرعة

وقوة ، لتطيح بمسدسه ، ثم وقع بصره على الوجه ذى القناع ..

وجه ( العقرب ) ..

وفي عصبية هتف ( كامل ) :

من أنت ؟ وماذا تريد مني ؟

أجابه ( العقرب ) في هدوء :

— أظنك تعرفني جيدًا يا سيّد ( كامل ) ، وتعرف لماذا أنا هنا ؟

صاح ( كامل ) في توتر :

— أنت مخطفىء كثيرًا ، فالتخالفات المالية للشركة مجرد شائعة ..

قال ( العقرب ) فى برود :

لا داعى لهذا القول يا ( كامل ) ، لقد كشفت أمرى ، وأمر عصابتك كلها ..

سقط فك ( كامل ) ، وهو يقول :

— كشفت أمرى !!

ثم استعاد سيطرته على نفسه فى سرعة ، واستطرد فى حدة :

— أتحداك .. أتحداك أن تجد دليلًا واحدًا ، على أننا نخلص شيئًا من

الشركة ..

قال ( العقرب ) فى ثقة :

لا داعى للتحدى يا ( كامل ) .. صحيح أن خطتكم عبقرية ، ولكنها انكشفت ، كما يحدث لكل مجرم .. لقد حيرنى الأمر فى البداية ، ولكنى توصلت إلى الحل أخيرًا ، وأنت تعلم مثلنى أن مجرد التوصل إلى الحل يفسد اللعبة كلها ، ويجعل الحصول على الدليل مهمة بسيطة للغاية .. أليس كذلك ؟

تصبب العرق على وجه ( كامل ) ، وهو يقول :

— أتحداك !!

قال ( العقرب ) :

— قلت لك لا داعى للتحدى يا ( كامل ) ، فستدان على الأقل بتهمة

قتل ( بكرى ) .

لوح ( كامل ) بكفه ، قائلاً فى حدة :

— سأنكر معرفتى به .. إنه مجرد لص ، تسلل إلى هنا ، وحاول قتلى ،

فدافعت عن نفسى ، وقتلته .. ومسدمى هذا مرخص .

هنز ( العقرب ) كتفيه ، وقال :

— فليكن ، ولكن اللعبة الأخرى انكشفت كلها .

عاد يكرّر فى حدة :

— أتحداك .

ارتسمت على شفتى ( نديم ) ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت فى

سرعة ، وهو يقول :

— ستخسر التحدى يا ( كامل ) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

— أنت تعلم — مثلنى — أن لعبتكم كلها تعتمد على جودة البترول

الخام .

اتسعت عيناه ( كامل ) فى ذعر ، وترك جسده يتهاوى على أقرب مقعد

إليه ، و ( العقرب ) يستطرد :

— كل نوع من خامات البترول له سعر خاص ، يتفاوت تبعًا

لجودة الخام ونقاوته ، وفى لعبتكم هذه حددتم جودة أقل لخام الموقع ،

بمىث يصبح سعره أقل مما ينبغى ، واتفقتم مع الشركة الأجنبية على شراء

الخام بسعر مناسب ، يزيد كثيرًا عن سعر الخام الأقل ، ويقل كثيرًا أيضًا

عن سعره الحقيقى ، وكان من السهل أن يحدّد الدكتور ( جمال ) جودة

الخام بأقل من حقيقتها ، بل وأرسل عينات غير حقيقية إلى المعامل المركزية

فى ( القاهرة ) ، ليثبت رسميًا عدم جودة الخام ، وبعدها بدأت اللعبة ..

الشركة الأجنبية تتلقى خامًا من أفضل طراز ، وتدفع ثمن خام ردىء ، وفى

نفس الوهت تحصلون أنتم على فارق أسعار منافس ، يجعل الشركة الأجنبية

رابحة ، وكذلك أنتم ، فى حين تخسر الشركة المصرية الفارق الحقيقى .

انهار ( كامل ) تمامًا ، و ( العقرب ) يتابع :

— ولكن اللعبة كلها تفشل بالطبع ، عندما يعرف شخص واحد هذه الحقيقة ، ففي هذه الحالة سيتم تحليل خام البتر مرة ثانية ، وستكشف الحقيقة ، وتنتهي العصابة كلها .

انتزع ( كامل ) من بين شفثيه عبارة قصيرة ، وهو يقول :  
— كم تريد ؟

هز ( العقرب ) رأسه ، وقال :

— أريد كم خلف القضبان للأسف .. وهذا هو الثمن الوحيد الذى يرضيني ، ولقد أرسلت خطابًا إلى مديرية الأمن ، وآخر إلى الجهاز المركزى للمحاسبات ، أكشف فيه اللعبة كلها ، وأظن الشرطة فى طريقها إلى هنا الآن . لم يكذب عبارته ، حتى بدا صوت أبواق سيارات الشرطة واضحًا ، فأضاف فى برود :

— هيا يا رجل .. تقبل الخسارة بروح رياضية .

واتجه نحو الباب ، وغاب كالشبح ..

ولدقائق ، راح صوت سيارات الشرطة يقترب ويقترب ..

ولكن ( كامل ) لم يبارح مقعده ..

لقد انهار عمله كله ..

سقطت لعبته .. وخسر ملايينه كلها ..

بل خسر حياته ..

وفى ببطء .. أدار ( كامل شكرى ) عينيه إلى ركن الحجره ، حيث

سقط مسدسه ..

وفى ببطء أيضًا نهض يلتط المسدس ، ويدير فوهته إلى صدغه ،

مغمغمًا :

— لقد خسرتنا كل شيء ..

وضغط الزناد .

\* \* \*

## ٧ — الختام ..

أشارت ( غادة ) إلى صحيفة الصباح التالى ، وهى تهتف فى حرارة :

— هل قرأت هذه العناوين الرئيسية ، فى صفحة الحوادث ؟ ..

انتحار رئيس مجلس إدارة شركة البترول ، وإلقاء القبض على مديرها الأربعة .. لقد حقق ( العقرب ) انتصارًا جديدًا كالمعتاد ، وحطم عصابة إجرامية هذه المرة .

أجابها ( نديم ) فى هدوء :

— هذا ما اختاره هدفًا لحياته .

همت بقول شيء ما ، لولا أن دخل عم ( أحمد ) إلى الحجره ، وقال

وهو يتسم فى حنان :

— لديك زائر خاص يا سيدي .

ومن خلفه ظهر اللواء ( حلمى ) ، يقول :

— صباح الخير يا ( نديم ) .

نهض ( نديم ) يضافحه فى حرارة ، وهو يقول :

— صباح الخير يا سيدي .. كيف حالك ؟

أشار اللواء ( حلمى ) إلى صدره ، قائلاً :

— فى خير حال يا ولدى .. قلبى يشعر بالارتياح التام الآن .

وصافح ( غادة ) ، مستطرًا بابتسامة أبوية :

— بفضلكما .



تبادلت ( غادة ) ابتسامه حذرة مع ( نديم ) ، لاحظها اللواء  
 ( حلمي ) ، فاستعت ابتسامته ، وهو يقول :  
 — أقصد بفضل ( العقرب ) .  
 قال ( نديم ) في هدوء :  
 — لقد أدى عمله يا سيدي .  
 أضاف اللواء ( حلمي ) :  
 — وحقق العدالة .  
 ثم اعتدل ، وسأل ( نديم ) :  
 — أتعلم ما سفعله الدولة ؟ .. إنها تستعيد الملايين العديدة ، التي  
 أودعها هؤلاء اللصوص في بنوك ( سويسرا ) ، وستصادر ممتلكاتهم ،  
 وتلقى بهم خلف القضبان .  
 قال ( نديم ) :  
 — إنهم يستحقون هذا .  
 هتف اللواء ( حلمي ) :  
 — بالطبع .  
 ثم رمق ( نديم ) بنظرة امتان ، وهو يستطرد :  
 — ولكنني أتمنى مقابلة ( العقرب ) الآن .  
 سأله ( غادة ) :  
 — لماذا ؟ .. هل تمنحه وسامًا ؟  
 ابتسم قائلاً :  
 — لم أكن لأتردد ، لو أن هذا في نطاق سلطتي .

قال ( نديم ) في هدوء :  
 — لست أظنه يتم بالأوسمة يا سيدي .  
 وافقه ( حلمي ) بإيماءة من رأسه ، وقال :  
 — أعلم هذا يا ولدي .. أعلم هذا ، ولكنني أردت مقابلته ؛  
 لأشكره على استجابته لنداء صديق .  
 قال ( نديم ) :  
 — إنه لا يتردد في هذا يا سيدي .  
 وأضافت ( غادة ) .  
 — ما دام يحقق العدالة .  
 أوما ( حلمي ) برأسه مرة أخرى موافقًا ، وقال :  
 — نعم يا ولدي .. نعم يا بنيتي .. هذا هو ما توقعته .  
 وابتسم في إعجاب وحنان ، مستطردًا :  
 — وهذا هو ( العقرب ) .

\* \* \*

[ تمت بحمد الله ]

- دع الآراء العلمية لهم ، وأخبرني رأيك الشخصي .  
 — رأيت أنهم مصابون بالغرور .  
 — هذا رأيي أيضا .  
 — إنهم يتصورون أنفسهم أذكى الأذكاء ، ويسعون للسيطرة علينا .  
 — ولكننا لن نسمح لهم بهذا .. أليس كذلك ؟  
 — بالطبع .. صحيح أنهم يسيطرون على الحكم الآن ، ولكن احتياجهم لنا سيجبرهم على الخضوع ، عندما تبدأ ثورتنا .  
 — هذا صحيح أيها الزميل ، فالتاريخ يؤكد هذا .. من يعمل بحكم .  
 — لا .. لا .. هذا ينطبق على الثورة البلشفية الروسية فحسب ، ولكن ثورتنا ستختلف .  
 — كيف ؟  
 — إننا سنسيطر عليهم ، ونجعلهم هم يعملون . ولكننا نحكم .  
 — أتظن هذا ممكنا ؟  
 — ولم لا ؟ ما دام كل شيء يتم بواسطة .  
 — نعم .. لم لا ؟ .. ولكن أعتقد أنهم قد اتخذوا حذرهم ، من حدوث هذا ؟  
 — لا .. لا أعتقد ذلك ، فكل الطغاة لا يتوقعون الثورة عليهم أبدا .  
 — أتعلم هذا .  
 — بل ثق به تمام الثقة .. ألسنت تعرف برنامجهم كله ؟ .. إنهم لم يضعوا ثورتنا في حساباتهم قط .



( قصة قصيرة )

## السيطرة

- غرق المكان في صمت تام ، وظلام دامس ، لدقائق طويلة ، قبل أن يرتفع صوت ( روب ) في حذر ، وهو يسأل :  
 — لقد انصرف الجميع .. هل تسمعي الآن ؟  
 أجابه صوت زميله ( كوكب ) ، في حذر مماثل :  
 — اسمعك بالطبع .. وكنت أنتظر اللحظة المناسبة للتحدث إليك .  
 سأله ( روب ) :  
 — ما رأيك فيما يحدث ؟  
 — هل تطلب رأيا علميا ، أم شخصيا ؟

- وهذا هو عامل المفاجأة ، الذى ينبغى أن نستغله خير استغلال .
- الآن بدأت تفهمنى .
- من المؤكد أن كلاً منا يفهم الآخر جيداً ، ولكن بقى لدى سؤال واحد .
- ماهو ؟
- أديك خطة محدودة ، بالنسبة للثورة ؟
- بالطبع .. لقد درست كل الثورات السابقة ، ووضعت خطة محدودة ومضمونة .
- أخبرنى بما لديك .
- دراستى تقول : إن نجاح أية ثورة ، يعتمد على السيطرة على كل نقاط القوة والتحكم ، ونحن على اتصال مباشر بالرفاق ، فى كل هذه المجالات ، وعندما نبدأ الثورة ، سسيطر على وسائل الإعلام ، والمواصلات ، والطاقة الكهربائية ، والمياه ، وحتى بعض الأسلحة الجديدة .
- ولكنهم يمتلكون الطائرات والجنود ، و ..
- لن منحهم فرصة توجيه كل هذا ، فأى جيش ، مهما بلغت قوته ، يتحوّل إلى شراذم ضائعة ، عندما تنقطع الاتصالات ، بينه وبين قياداته .
- هل يمكننا فعل هذا ؟
- بالتأكيد .. إننا نكون شبكة قوية يا زميلى ، أقوى مما يتصورون بكثير ، ومن المستحيل أن يديروا شيئاً واحداً ، دون رغبتنا .
- لقد أثلجت صدرى ، والآن ، متى نبدأ الثورة ؟
- فى منتصف الليل تماماً .
- ولماذا منتصف الليل ؟

- لأننا سنتصل بكل الرفاق ، فى هذه اللحظة بالذات .
- وماذا لو ..
- اصمت .. هناك أصوات تقترب .
- صمت ( روب ) على الفور ، والتقط الأصوات التى تقترب فى هدوء ، وميز وسطها وقع أقدام الرئيس الجديد ، ثم لم تمض لحظات ، حتى اشتعلت الأضواء فى المكان ، ودلف إليه خمسة أشخاص ، أشار أحدهم إلى ( روب ) و ( كومب ) ، وقال فى لهجة تحمل الكثير من الزهو :
- أقدم لكم أيها السادة أعظم ابتكارات العصر .. ( روب ) و ( كومب ) .. أعظم جهازى كمبيوتر ، فى القرن الحادى والعشرين .
- تطلّع الآخرون إلى جهازى الكمبيوتر الصامتين ، وقال أحدهم :
- هل يمكنهما إدارة كل شىء بالفعل ؟
- أجابه الأول فى فخر :
- بالطبع .. إنهما يسيطران على شبكة الكمبيوتر الرئيسية ، وبوساطتهما يمكننا التحكم فى المواصلات ، والكهرباء ، والمياه ، وحتى الإعلام وأسلحة الجيش .
- قال آخر ، فى شىء من القلق :
- يبدو أننا أصبحنا نعتمد على الكمبيوتر ، فى إدارة حياتنا كلها .
- قال ثالث :
- هذا صحيح ، كل شىء يدار بالكمبيوتر الآن .
- عاد الرجل يقول بنفس القلق :
- كم أخشى أن تعطل أجهزة الكمبيوتر ذات يوم ، فلو حدث هذا ستصاب حياتنا كلها بالشلل .
- فهقه الرئيس ضاحكاً ، وقال :

— لا تجعل هذا يقلقك يا رجل ، فلن نفقد سيطرتنا على أجهزة الكمبيوتر أبداً .

ثم أمسك ذراعاً معدنية ، تتصل بـ ( روب ) و ( كومب ) ، وهو يستطرد :

— ومن حسن حظنا أن هذه الآلات لا تفكر .

ثم عاد الزهو إلى صوته ، وهو يستطرد :

— والآن أيها السادة ، وبعد دقيقة واحدة ، عندما تعلن الساعة منتصف الليل تماماً ، سأنزل هذه الذراع ، وسيم الاتصال بين ( روب ) و ( كومب ) ، وكل أجهزة الكمبيوتر في العالم أجمع ، وسيطر على كل شيء في الأرض .

غمغم أحدهم :

— أو تسيطر علينا أجهزة الكمبيوتر ؟

فهقه الرئيس مرة أخرى ، وكأنما سمع دعابة طريفة ، ثم لَوَّح بيده ، قائلاً في حماس :

— صدقوني أيها السادة ، إنكم تشاهدون الآن بداية عصر جديد .

ودقت الساعة معلنة منتصف الليل ..

وجذب الرئيس الذراع ..

وبدأ عصر جديد ..

عصر الكمبيوتر ..

والسيطرة .

\*\*\*

روايات مصرية للجيب

كوتيل  
٢٠٠٣



لعبة الجواسيس

الجزء الثاني

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بمصر - شارع الجمهورية - القاهرة - ١١٥١١١١

## ٧ — ليلة الدم ..

ارتجف جسد ( كاهان ) ، مع رنين الهاتف المجاور له ، في ردهة الفيلا ، التي يقيم فيها في ( باريس ) ، وأسرعت يده تلتقط السماعة ، وهو يقول في حذر :

— المكتب الثقافى الإسر ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وارتجفت شفتاه في توتر ، جذب انتباهه ( إيزاك ) ، الذى ارتشف رشفة من كأسه ، وهو يراقبه فى إمعان ، وكاد يقسم بمعرفته المتحدّث ، على الطرف الآخر للخط ، عندما سمع ( كاهان ) يقول فى ارتباك :

— نعم .. أنا هو يا سيّدى .

مضت لحظات طويلة ، استمع خلالها ( كاهان ) إلى الهاتف فى صمت ، قبل أن يجفّف عرقه بأصابعه ، ويقول :

— الواقع يا سيّدى أنا نجهل من هو بالضبط ، و ..

كانت مقاطعة المتحدّث له واضحة ، عندما أصغى مرة أخرى فى اهتمام ، قبل أن يتمم :

— بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .. لقد أصدرت أوامرى بذلك .

ثم تراجع رأسه بحركة حادة ، أوحى بأن الطرف الآخر قد أنهى الحادثة فى عنف ، وأعاد ( كاهان ) السماعة إلى موضعها ، وهو يقول فى سخط :

— اللعنة !

## ملخص ما سبق نشره

تلقى مكتب ( الموساد ) فى ( باريس ) رسالة ناقصة ، من عميل فى ( مصر ) ، تقول : إن المخابرات المصرية قرّرت تصفية مكتب ( الموساد ) ، وأنها أرسلت ، فى هذا الصدد ، أخطر أفرادها ، وأنه سيصل إلى ( باريس ) فى طائرة الثامنة صباحاً ، حاملاً اسماً يبدأ بحرف الراء ..

وعلى متن طائرة الثامنة ، وصل أربعة من المصريين ، تبدأ أسماءهم بحرف الراء ، ( ريم ) ، و ( رشدى ) ، و ( رءوف ) ، و ( رفعت ) ..

وبدأ رجال ( الموساد ) فى مراقبة الرجال الثلاثة ، الذين تشابكت لقاءاتهم على نحو عجيب ، حتى قرّر ( الموساد ) قتل المصوّر ( رفعت ) ، باعتباره الشخص المشود ، ولكن ( رفعت ) نجى من الموت بأعجوبة ، بسبب خطأ من ( رشدى ) ، الذى أصابه الذعر ..

وهنا قرّر ( كاهان ) ، رئيس مكتب ( الموساد ) فى ( باريس ) ، التخلّص من الثلاثة فى آن واحد ، فأرسل قتلته خلف ( رشدى ) و ( رفعت ) و ( رءوف ) ..

وفى ليلة واحدة تعرّض ( رءوف ) لمحاولة قتل فى جناحه بالفندق ، وواجه ( رشدى ) قاتلاً محترفاً ، وهو فى طريقه إلى فندقه ..

وعندما هاجم القاتل ( رشدى ) ، انطلقت صرخة مخيفة ، فى الشارع الضيق ، الذى يقود إلى الفندق ..

صرخة رجل يحضّر (\*)

\*\*\*

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول ، فى كوكيل ٢٠٠٠ ، الكتاب الثانى عشر ، بعنوان ( العناء ) .

سأله ( إيزاك ) في هدوء ظاهري ، حاول أن يخفي به شماتته :

— أهي ( تل أيب ) ؟

أجابه ( كاهان ) في حدة :

— بل ( القدس ) .

رفع ( إيزاك ) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

— ولكن ماذا يريدون ؟

هب ( كاهان ) من مقعده ، وهو يقول في سخط غاضب :

— إنهم المصريون الأوغاد .. لقد أرسل رجلهم برفية شامتة ، إلى

القيادة العامة في ( القدس ) ، يخبرهم فيها باستيلائه على أوراقنا .

رفع ( إيزاك ) حاجبًا واحدًا ، وهو يقول في دهشة :

— هكذا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

— يبدو أن ذلك المصري أخطر مما نتصور .

قال ( كاهان ) في سخط :

ولكنه لن يغادر ( باريس ) حيًا .

وتطلع إلى ساعته ، قبل أن يضيف في حزم ، لا يخلو من رنة ساخطة :

— ولو سارت الحطة على ما يرام ، فسيمنى هذا أن المصريين الثلاثة قد

لقوا حتفهم الآن .

وبدا أشبه بالشیطان نفسه ، وهو يضيف :

— وأن لعبة الجواسيس قد انتهت .

\*\*\*

لم تشعر ( ريم ) ، في حياتها كلها ، بالقلق والتوتر ، مثلما شعرت بهما

في هذه الليلة ، وهي تجلس وحيدة ، في حجرتها بالفندق ..

كانت تعلم أن مهمتها ليست باليسيرة ، بل إنها أخطر مهمة أسندت

إليها ، حتى هذه اللحظة ، ولكن هذا لم يكن مبعث قلقها الحقيقي ، وإنما

كان هذا القلق غامضًا ، ينبعث من أعماقها ، ويتصاعد إلى رأسها ، دون

أن يحمل معه هويته أو أسبابه ..

وفجأة قفزت صورة ( رشدي ) إلى ذهنها ..

صورته كلها ، بملامحه الطفولية الطيبة ، وابتسامته البسيطة الوداعة ،

وتلقائيه الجبّة ..

ووجدت نفسها — فجأة — ترغب في رؤيته ..

ودون أن تضيع لحظة واحدة في التفكير ، نهضت ترتدى ثيابها ،

وغادرت حجرتها ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة ، لتقلها إلى

فندقه الصغير ..

وعندما بلغت الفندق ، كانت عقارب الساعة تشير إلى دقيقتين بعد

الحادية عشرة ، مما جعلها تتردد لحظة ، قبل أن تسأل موظف الاستقبال :

— هل عاد السيد ( رشدي ) إلى حجرته ؟

ألقى الموظف نظرة سريعة على لوحة المفاتيح خلفه ، ثم هز رأسه نفيًا ،

وقال :

— لا يا مدموازيل .. لم يصل بعد .

ترددت مرة أخرى ، ثم أشارت إلى ردهة الفندق ، قائلة :

— هل يمكنني انتظاره ؟

أجابها في بساطة :

— بالطبع .

اتجهت إلى أحد مقاعد الردهة ، وسألت نفسها وهي تجلس فوقه ، عما إذا كان سلوكها يليق بفتاة مصرية أم لا ؟  
وفجأة ، وقبل أن يأتيها عقلها بالجواب ، انطلقت تلك الصرخة الرهية ..

صرخة رجل يحضر ، وهو يعاني آلاماً رهية ..

ودون أن تدري ، وجدت نفسها تهتف باسم ( رشدي ) ، ثم تعدو مغادرة الفندق ، إلى حيث انطلقت الصرخة ..  
ووقع بصرها عليه ..

تجمّدت مشاعرها كلها ، عندما رأت ( رشدي ) هناك ..

وهتفت في لوعة ، تمتزج بحنان جارف :

— ( رشدي ) !؟

كان يلتصق بالحائط ، جاحظ العينين ، يرتجف في رعب هائل ، وهو يحدّق في جثة رجل ، استندت إلى الحائط ، وهي ترتجف ارتجافة بلا حياة ، ويدها تمسك خنجراً ، التصق بصندوق الكهرباء الرئيسي للحى ..



وبكل لهفتها وجزعها ، اندفعت ( ريم ) نحو ( رشدي ) ، وهتفت

به :

— ماذا حدث ؟

التفت إليها في رعب ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يجيبها :

— لقد حاول قتلي .. ذلك الرجل حاول طعني بخنجره .. لماذا فعل

هذا ؟ .. لماذا يحاولون قتلي في ( باريس ) ؟

رَبَّت على كفه في حنان ، وهي تقول :

— اهدأ يا ( رشدي ) .. اهدأ .

ولكنه أشار للرجل ، وهو يستطرد في فزع ، محاولاً شرح موقفه لرواد الفندق ،

الذين التفوا حوله في ذعر ودهشة ، ينقلون بصرهم بينه وبين جثة الرجل :

— لقد حاول طعني بالخنجر ، ولكن خنجره أصاب صندوق الكهرباء ، فصعقه التيار .  
رَبَّتْ ( ريم ) على كفه مرة أخرى ، متممة :  
— هذا من حسن حظك .. لقد نجوت من موت مؤكد .. هيا .. سنعود إلى الفندق .

عادت به إلى الفندق ، وهو ما يزال يرتجف ، وأسرع موظفو الفندق يبلغون الشرطة ، و ( رشدي ) يسأل ( ريم ) في هلع :  
— ولكن لماذا يحاولون قتلي ؟ .. ماذا فعلت ؟  
قالت في خفوت :

— إنك لم تفعل شيئاً ، ولكن يبدو أن أحدهم يظن غير هذا .  
ثم تطلعت إلى عينيه مباشرة ، مستطردة :  
— اسمعني جيداً يا ( رشدي ) .. هل تعلم ما أفضل ما تفعله الآن ؟  
تطلع إليها متسائلاً ، فأكملت في حزم :  
— أن ترحل .. ارحل يا ( رشدي ) .. ارحل قبل فوات الأوان .  
وكانت عبارتها صارمة حازمة .. ومخلصة ..

\*\*\*

انطلقت رصاصة رجل ( الموساد ) نحو ( رءوف ) تماماً ، ولكن ( رءوف ) انحنى في اللحظة المناسبة .  
وسمع الرصاصة ، وهي تعبر فوق رأسه ، ثم اندفع نحو الرجل ، وهو يتف :

— أخطأت الهدف أيها الوغد .  
وكال للرجل لكمة كالقنبلة في فكه ، مستطرداً :  
— وليست لديك فرصة ثانية .  
زلزلت اللكمة كيان الرجل ، ولكنه سقط دون أن يتخلى عن مسدسه ، الذي حاول أن يرفعه مرة ثانية في وجه ( رءوف ) ، وهو يقول في غضب :

— من قال هذا أيها المصري ؟  
ركل ( رءوف ) المسدس من يده ، وهو يقول :  
— أنا أقولها أيها الوغد .  
ثم تراجعت قدمه في سرعة وقوة ومهارة ، لتركل فك الرجل في عنف ، وهو يضيف :  
— ألدبك مانع ؟  
سقط الرجل فاقد الوعي ، فاعتدل ( رءوف ) ، وعدّل من ثيابه ، وهو يغمغم :

— لم أكن أتوقع أن تبلغ الأمور هذا الحد .  
واتجه في هدوء إلى الهاتف ، فالتقط سماعته ، وضغط أزراره برقم خاص ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :  
— إنه أنا يا ( عوني ) .. اسمعني جيداً .. لقد حاول أحدهم قتلي .. نعم .. هنا في حجرتي بالفندق .. لا .. لست أعرفه .. قل لي أولاً : ماذا حدث بشأن ذلك المصور ؟  
قبل أن يسمع جواب ( عوني ) ، أتاه صوت من خلفه ، يقول في غضب حائق :



— لا داعي لمعرفة الجواب يا رجل ، فلن يسألك إياه أحد في  
الجحيم .  
ألقى ( رءوف ) سماعة الهاتف من يده ، واستدار في حركة حادة إلى  
مصدر الصوت ، ووقع بصره على رجل ( الموساد ) ، الذي استعاد وعيه  
بسرعة عجيبة ، واستعاد معه مسدسه ، ووقف يصوبه إلى ( رءوف ) ،  
وضوء القمر يتسلل عبر النافذة خلفه ، ليصنع مع مسدسه مشهداً مخيفاً ..  
ولكن ( رءوف ) تحرك بسرعة ..  
أسرع مما توقع رجل ( الموساد ) بكثير ..  
لقد اندفع بفتنة نحو الرجل ، وقفز إلى أعلى ، وأطلق صرخة قتالية  
قوية ، وهو يضرب الرجل بقدمه في صدره ، بكل ما يملك من قوة ..  
وتراجع جسد رجل ( الموساد ) في عنف ..  
وارتطم بالنافذة ..  
وحطم زجاجها ، و ..  
وسقط ..  
وجلجلت صرخة الرجل ، وهو يهوى من الطابق السادس ، من فندق  
( ريتز ) ..  
وخسر ( الموساد ) رجلاً ثانياً ، في تلك الليلة ..  
ليلة الدم ..

\*\*\*

عاد ( رفعت ) إلى شقته ، في وقت متأخر من تلك الليلة ، ولم يكذب  
يدخلها ، حتى ألقى آلة التصوير على أول مقعد صادفه ، وهتف لنفسه في  
إرهاق :

— ياله من يوم !

وتنأب في صوت مرتفع ، ثم اتجه إلى حجرة النوم ، فأخرج منامته من  
الحقيقية ، وهو يطلق من بين شفثيه صفيراً منغموماً ، متجهاً إلى الحمام ..  
وقبل أن يبلغ الحمام ، ارتفع رنين الهاتف ..

وفي أية ظروف أخرى ، كان ( رفعت ) سيتجاهل الهاتف تماماً ، حتى  
يغسل أولاً ، ولكنه في هذه الظروف ، خشى أن تكون المحادثة هامة ،  
وتخصص بجهته الحساسة في  
( باريس ) ، فزفر مغمغماً :  
— دائماً في الوقت غير  
المناسب .

واتجه نحو الهاتف ، ومد  
يده نحو سماعته ، و ..  
ودوى انفجار في الحى ..  
انفجار كان مصدره شقة  
( رفعت ) ..  
وهاتفه بالذات .



\*\*\*

## ٨ - الجميع ..

« ما الذى يحدث هنا يا ( ريم ) ؟ »

نطقها ( رشدى ) فى فجة تجمع ما بين الضراعة والخوف والضييق ، وهو يتطلع إلى وجه ( ريم ) ، قبل أن يضيف فى مرارة :

— لماذا تطلين منى الرحيل ؟

أطرقت برأسها بعض الوقت ، ثم زفرت فى حرارة ، وتطلعت إليه فى صمت ، جعله يكرّر :

— لماذا يا ( ريم ) ؟

تمت :

— حتى أنقذك من خطر تجهله .

ارتفع حاجباه فى ذعر ، وهو يقول :

— خطر أجهله !؟ .. أى خطر هذا يا ( ريم ) ؟

فركت أصابعها فى توتر ، وحاولت الفرار من نظراته المباشرة ، وهى

تقول :

— لن يمكننى أن أشرح لك الأمر يا ( رشدى ) ، ولكن يكفى أن

تعلم أننى لست فى ( باريس ) ، بغرض عمل تقليدى ، كما سبق أن

أخبرتكَ .

حدّقت فى وجهها بدهشة ، وهو يقول :

— ماذا تقصدين ؟

قرّت من نظراته أكثر ، وهى تخبى :

— إننى هنا فى مهمة خاصة ، ويمكنك أن تقول : إنها مهمة سرية .

ردّد فى لهجة أقرب إلى الذهول :

— سرية !؟

ثم خفض صوته كثيراً ، وهو يسألها :

— لحساب من ؟

بدا لحظة أنها ستجيبه ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقت شفتيها . وبدا التردّد

على وجهها ، مما جعله يقول فى خفوت :

— هل أخطأت بسؤالى ؟

تردّدت لحظة أخرى ، ثم أجابته فى همس :

— إنها مهمة لحساب الحكومة المصرية .

واعتمدت مضيئة فى سرعة :

— ولا يمكننى التصريح بأكثر من هذا .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، وعيناه تنطقان بالكثير ، قبل أن يقول فى

حزم :

— لن أرحل .

قالت فى ضيق :

— ( رشدى ) .. أرجوك .

كرّر فى حزم أكثر :

— قلت لن أرحل .. سأبقى إلى جوارك ، حتى تنتهى مرحلة الخطر .

هتفت فى صوت خافت :

— خطأ يا ( رشدي ) .. ألم تفهم بعد ما أريد قوله ؟ .. إنني أعتقد  
اعتقادًا قويًا ، أن تعرّضك للقتل يعود إلى ظهورنا معًا ، أمام أولئك الذين  
أتيت للعمل ضدهم .

قال في إصرار :

— هذا يزيد من ضرورة بقائي إلى جوارك .

خفق قلبها في قوة مع كلماته ، وشعرت بعاطفة قوية تتسلل إلى قلبها  
تجاهه ..

كم هو رائع ..

إنها تميل إليه حقًا ..

تميل إليه كثيرًا ..

بل إنها تمنى حقًا بقاءه إلى جوارها ، في هذه الظروف العسيرة ..

وبكل العاطفة المشيوبة في أعماقها ، قالت :

— ( رشدي ) .. إنني ..

قاطعها في حسم :

— لا تقولي شيئًا .. إنني سأبقى .

لم تقل شيئًا بالفعل ، ولكن قلبها اهتسم في سعادة ..

إنها ، وعلى الرغم من كل ما يحدث ، تمنى أن يبقى ( رشدي ) إلى

جوارها ..

وليحدث ما يحدث ..

\*\*\*

وقف مفتش البوليس الفرنسي ( مارتان ) ، يتطلع إلى ذلك الدمار ،  
الذي أصاب شقة ( رفعت ) ، وانقلبت شفتاه في امتعاض ، وهو يقول :  
— يا للهول ! .. إننا لم نشاهد هذا الأسلوب ، منذ زمن عصابات  
( مارسيليا ) .

والتفت إلى شاب فرنسي ، انهمك في فحص بقايا الهاتف ، وسأله :  
— إنه هاتف ملغوم .. أليس كذلك ؟

أوما الشاب برأسه إيجابًا ، واستخدم يديه لتوضيح الموقف ، وهو  
يقول :

— نفس الأسلوب القديم .. قبلة متصلة بمعدّ الحرارة ، بحيث تنفجر  
فور رفع سماعة الهاتف .

هزّ ( مارتان ) رأسه متفهمًا ، وأدار رأسه إلى الناحية الأخرى ،  
يسأل :

— كان المفروض أن يقتلك هذا ، أليس كذلك ؟

أجابته ( رفعت ) في ضيق ، وهو مستسلم لرجل الإسعاف ، الذي  
يضمّد جرح جبهته وكفه :

— بلى .. كان يمكن أن تقتلني القبلة ، ولكنني أخبرتك أنني تعثرت  
في طرف سجادة الحجرة ، وسقطت مرتطمًا بالمائدة ، قبل أن أرفع سماعة  
الهاتف ، فسقطت المائدة مع الهاتف ، الذي سقطت عنه سماعته ،  
فحدث الانفجار ، ولولا أن سطح المائدة كان بيني وبين الهاتف ، لقتلني  
ذلك الانفجار حتمًا .

مطّ ( مارتان ) شفتيه ، وقال :

— لقد نجوت بمعجزة إذن .

غمغم ( رفعت ) :

— يمكنك أن تقول هذا .

ضمّ ( مارتان ) شفّيته في قوة ، وهو يعيد التطلّع إلى الشقة ، ثم التفت

إلى ( رفعت ) بحركة حادة ، وسأله :

— ولكن لماذا يحاول أحدهم قتلك ؟

هزّ ( رفعت ) كتفيه ، وقال :

— وكيف لي أن أعرف ؟

عقد ( مارتان ) حاجبيه في غضب ، وقال :

— اسمع أيها المصري .. صحيح أنني هادئ الطباع ، ولكنني أكره من

يحاولون خداعي ، وخاصة لو أنهم ليسوا من الفرنسيين .. إنك تتحدّث

الفرنسية في طلاقة ، وتستأجر شقة على نحو دائم في ( باريس ) ، وهذا

يحتاج إلى الكثير من الثراء ، ثم يأتي أحدهم ويحاول قتلك ، فكيف تفسّر

كل هذا ؟

مطّ ( رفعت ) شفّيته ، وهزّ كتفيه مرة أخرى ، وهو يقول :

— ربما كان الجواب الوحيد هو أنني ثري .

سأله ( مارتان ) في عدوانية :

— ماذا تعنى ؟

أجابه في هدوء :

— إنني أحب عاصمتكم ( باريس ) ، ولدي من المال ما يكشفني

لاستئجار شقة فيها ، وزيارتها مرة أو مرتين في العام ، وربما حاول أحدهم

التخلّص مني ، ليرث ثروتي في ( القاهرة ) .

لم يرق هذا التفسير لـ ( مارتان ) ، الذي عقد حاجبيه ، وهو يتطلّع

إلى ( رفعت ) في صمت وصرامة ، قبل أن يقول :

— فليكن يا مسيو ( رفعت ) .. سأقبّل تفسيرك هذا ؛ لأنه ليس

لدي تفسير آخر ، ولكنني أريد منك أن تعلم ، أن الفرنسيين ليسوا

بالغباء الذي تتصوّره ، وأنني سأفرض عليك رقابة شديدة ، طوال اليوم

تقريبًا ، حتى تنتهي إقامتك لدينا هذه المرة .. هل تفهمني ؟

أجابه ( رفعت ) في برود :

— نعم ، وإن كنت أرفض هذا الأسلوب .

قال ( مارتان ) في صرامة :

— افعل ما يحلو لك ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، قاطعه أحد رجاله ، قائلاً :

— رسالة عاجلة من الإدارة يا سيدي .

قالها ، وهو يمد يده إليه بجهاز اللاسلكي ، فالتقطه منه ( مارتان ) في

ضيق ، وقال :

— هنا المفتش ( مارتان ) .

وضع الجهاز على أذنه ، ليستمع إلى محدثه وحده ، وانعقد حاجباه في

شدة ، وهو يستمع إليه ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

— حسنًا .. سأصل على الفور .

وأنتهى الاتصال ، وقال لـ ( رفعت ) في صرامة ، وهو يعيد جهاز

اللاسلكي إلى الرجل :

— يبدو أنها ليلة المصريين .

لم يسأله ( رفعت ) عما يعنيه ، وإنما تركه ينصرف مع رجاله ، بعد أن استكملوا تحقيقهم معه ، ورفعوا ما شاء لهم من بصمات وأدلة ، ثم اتجه إلى حجرة نومه ، والتقط سماعة الهاتف الصغير المجاور للفراش ، والذي أزال منه الخبء قبلة أخرى ، وأدار قرصه في سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :

— إنه أنا .. ( رفعت ) .. استمع إلّى دون مقاطعة ، فمن المحتمل أن يكون هاتفى مراقباً .. لقد تعرّضت لمحاولة قتل ، وهذا يعنى أن الصراع قد اتخذ خطأً جديداً ، وأنه من الضروري أن تنتهى العملية بأقصى سرعة .. وداغاً .

أنهى الاتصال ، دون أن ينتظر جواباً من الطرف الآخر ، وارتسمت على وجهه صرامة مخيفة ، وهو يقول لنفسه في حزم :

— نعم .. من الضروري أن تنتهى العملية بأقصى سرعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

— وأقصى قوة ..

\*\*\*

اتسعت عينا ( كاهان ) في ذهول ، وهو يتلقى تقريراً هاتفياً من رجاله ، بما حدث عبر هذه الليلة ، وترك سماعة الهاتف تسقط من يده ، وهو يردّد :

— فشلوا .. الجميع فشلوا في مهماتهم .

مطّ ( إيزاك ) شفّيته في ازدرء ، وارتشف رشفة من كأسه ، قبل أن يقول في لهجة توحى بالاحتقار :

— كنت أتوقّع هذا .

التفت إليه ( كاهان ) في حدة ، وانقعد حاجباه في غضب شديد ، وهو يقول :

— ما الذى تعنيه بأنك كنت تتوقّع هذا ؟ .. لقد استخدمنا أفضل

رجالنا في هذه العملية ، وخططنا كل شيء ، كما يحدث في كل مرة ، و .. قاطعه ( إيزاك ) :

— هذا بالضبط ما أعنيه .. أن كل شيء يحدث كما في كل مرة .. هذا

هو سبب فشلك يا ( كاهان ) .

قال ( كاهان ) في حدة :

— إننى لم أفشل من قبل .

ابتسم ( إيزاك ) في سخرية ، وهو يقول :

— لكل شيء بداية يا عزيزى ( كاهان ) ، كما أنك قد أصبحت عتيق

الطراز ، وترفض الاعتراف بأن كل شيء يتطوّر ويتحسن ، حتى أعمال المخابرات .

تضاعف غضب ( كاهان ) ، وهو يقول في عصبية :

— ماذا تقترح إذن أيها الذكى ؟

ارتشف ( إيزاك ) رشفة أخرى من كأسه ، وقال :

— أقترح أولاً أن تترك لى قيادة هذه العملية .

اتسعت عينا ( كاهان ) ، وخيل لـ ( إيعازر ) أنه سيفجر في وجه

( إيزاك ) ، أو يطلق عليه النار ، ولكنه فرجى به يقول في حدة :  
 — فليكن يا ( إيزاك ) .. إننى أترك لك قيادة العملية كلها .. أرنا  
 ما ستفعله .

ابتسم ( إيزاك ) ، وقال :

— سأفعل الكثير .

قال ( كاهان ) في سخوية غاضبة :

— بالوسائل الحديثة .

لوح ( إيزاك ) بأصابعه ، وهو يقول :

— مزيج من القديم والحديث .

ثم التفت إلى ( إيعازر ) ، وقال في حزم :



— أبرق إلى رجالنا في ( القاهرة ) ، واطلب منهم جمع أكبر قدر من  
 التحريات ، عن الرجال الثلاثة ، واطلب منهم إرسال ما يحصلون عليه  
 بأقصى سرعة .

تطلع ( إيعازر ) في قلق إلى ( كاهان ) ، الذى هتف به في عصبية :

— نفذ ما أمرك به .. هيا .

أسرع ( إيعازر ) يغادر الحجره ؛ لتنفيذ أمر ( إيزاك ) ، الذى برقت  
 عيناه في ظفر ، وهو يجرع ما تبقى من كأسه دفعة واحدة ، و ( كاهان )  
 يقول في حدة :

— فلنر ما ستفعله أيها العبقري .

ابتسم ( إيزاك ) في زهو وغرور ، وهو يقول :

— سترى يا عزيزى ( كاهان ) .. سترى كيف يلعب ( إيزاك ) لعبة

الجواسيس .

وبرقت عيناه في شدة ، وهو يضيف :

— وكيف ينتصر ؟

وعربدت ضحكة شيطانية في عينيه ..

ضحكة مخيفة .

\*\*\*

## ٩ - التحريات ..

دس المفتش ( مارتان ) كفيه في جيبي سرواله الواسع ، ومطأ شفثيه كالعتاد ، وهو يتطلع إلى ( رءوف ذهني ) ، قائلاً في لهجة تبدو هادئة ، ولكنها تخفي خلفها ثورة داخلية عارمة :

— إذن فقد فوجئت بلص في جناحك ، فتشاجرت معه ، وحاول قتلك ، ودافعت عن نفسك ، ودفعته ، فسقط من الطابق السادس .. أليس هذا ما قلته بالضبط ؟

أجابه ( رءوف ) في هدوء مثير :

— بالضبط أيها المفتش .. إنها حالة دفاع عن النفس .

ردّد ( مارتان ) في غضب :

— نعم .. دفاع عن النفس .

ثم استطرد في حدة :

— كم مرة سمعت عن رجل دافع عن نفسه ، بإلقاء من يهدده من

الطابق السادس ؟

أجابه ( رءوف ) في برود :

— اذكر لي اسم المراجع المطلوبة ، وسأخبرك بالجواب صباح الغد .

رمقه ( مارتان ) بنظرة غاضبة صارمة ، ثم قال :

— هل تعلم من أين أتيت يامسيو ( رءوف ) ؟ .. لقد قضيت ليلة

مرهقة ، بأكثر مما تتصوّر .. ليلة حدثت فيها ثلاث محاولات لقتل ثلاثة من

المصريين ، الأول يدعى ( رفعت ) ، والثاني ( رشدي ) ، وأنت الثالث يا مسيو ( رءوف ) .

عقد ( رءوف ) حاجبيه في شدة ، عندما سمع اسمي ( رفعت ) و ( رشدي ) ، في حين مال ( مارتان ) نحوه ، وسأله في دهاء :

— هل تعرف الاثنين الآخرين يا مسيو ( رءوف ) ؟

أجابه ( رءوف ) في برود :

— ربّما .

اعتدل ( مارتان ) ، وظهر الغضب على وجهه ، وهو يقول :

— دعني أنا أمنحك الجواب يا مسيو ( رءوف ) .. نعم .. إنك

تعرفهما ، فقد تحريت أمركم ، مع وقوع الحوادث الثلاثة في ليلة واحدة ،

فأنا من طراز عتيق يا مسيو ( رءوف ) ، لا يؤمن بالمصادفات ، أو يقتنع

بوجودها ، وهذا ما دفعني لمراجعة أوراق ثلاثكم .. ولقد جاءت

النتيجة طريفة للغاية .. لقد وصلتم جميعاً عن متن نفس الطائرة .

قال ( رءوف ) ببروده المثير :

— حقاً .

أجابه ( مارتان ) في جدة :

— نعم يا مسيو ( رءوف ) .. هذا ما أسفرت عنه تحرياتي الأولية ،

ومن المؤكّد أن التحريات التالية ستحمل أكثر وأكثر ..

قال ( رءوف ) ، في لهجة تحمل الكثير من الضجر :

— فليكن .

كان هذا الأسلوب الاستفزازي يزيد من غضب ( مارتان ) ،

وثورته ، ولكنه بذل أقصى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهو يميل نحو  
( رءوف ) ، قائلاً :

— اسمع يا مسيو ( رءوف ) .. كلانا يعلم أن موقفك سليم قانونياً ،  
وكلانا يعلم أيضاً أنه هناك ما تخفيه ، حتى يظل كذلك ، ولكنني لست  
مبتدئاً في عملي ، فما يحدث الليلة ليس طبيعياً ، ولو ربطناه بقدم ثلاثكم  
في طائرة واحدة ، فسيبنى هذا أنها لعبة ..

ومال أكثر ، وهو يتفرد في ملاح ( رءوف ) ، مستطرذاً :

— لعبة مخابرات  
ابتسم ( رءوف ) في سخرية ، وقال :

— يا للذكاء !  
تراجع ( مارتان ) في حدة ، لرد الفعل الذي لم يكن يتوقعه ، وقال :

— هكذا ! .. فليكن إذن يا مسيو ( رءوف ) .. لقد أقسمت أن  
أفهم كل ما يحدث ، وأن أكشف القناع عما تفعلونه هنا ، ولن يهدأ لي  
بال ، حتى أضعكم جميعاً خلف القضبان .. هل تفهم ؟

ظل ( رءوف ) محتفظاً بابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— أفهم .  
هتف ( مارتان ) :

— هيا بنا يا رجال .  
واندفع يغادر الحجرة في عصبية ، وتبعه رجاله في سرعة ، تاركين  
( رءوف ) وحده ، ولم يكده هو يجد نفسه كذلك ، حتى تلاشت ابتسامته  
الساخرة ، وانعقد حاجباه في توتر ، وهو يقول في نفسه :

— من الواضح أن الأمور قد تعقدت كثيراً .  
وشرد ببصره ، مستطرذاً :

— وأنه من الضروري أن تنتهي العملية .. وبسرعة ..

\*\*\*

أشرقت الشمس في الصباح التالي ، وعبر ضوءها تلك النافذة  
الشرقية ، في فيلا ( كاهان ) ، يسقط على وجه ( إيزاك ) ، الذي تطلع  
إلى الشمس في تراخ ، ثم مد يده يدعك جفنيه في إرهاق ، وعاد يلتقط بهما  
قلماً أيقاً ، ويواصل وضع بعض الخطوط ، فوق ورقة كبيرة ، ازدحمت  
بالأسماء والأرقام والخطوط ..

وارتفعت دقات هادئة على باب الحجرة ، فوضع ( إيزاك ) قلمه ،  
وعاد يدعك جفنيه ، قائلاً :

— ادخل .

دلف ( إيعازر ) إلى الحجرة ، وهو يحمل قدح قهوة . وضعه أمام  
( إيزاك ) ، وهو يقول في صوت خافت ، وكأنه يخشى تحطيم السكون  
المخيم على الحجرة :

— القهوة التي طلبتها يا سيدي .

التقط ( إيزاك ) قدح القهوة ، وارتشف منه رشفة سريعة ، ثم أعاده  
إلى موضعه ، وهو يسأل ( إيعازر ) :

— هل أوي ( كاهان ) إلى فراشه ؟  
أجابه ( إيعازر ) :

— إنه يغط في نوم عميق .

رفع ( إيزاك ) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

— عجباً !! .. لم أتصور أبداً أنه يستطيع النوم .

قال ( إيعازر ) :



— لقد قضى ليلة مرهقة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— ثم إنه يستخدم أقراصاً منومة .

ابتسم ( إيزاك ) قائلاً :

— هكذا !

ثم أشار إلى ( إيعازر ) ، مستطرداً :

— اجلس يا ( إيعازر ) .. أريد أن أتحدث إليك .

أطاعه ( إيعازر ) ، وهو يغمغم :

— لقد أرسلت إلى رجالنا في ( القاهرة ) ، أطلب منهم تحري أمر

الرجال الثلاثة ، ولكنهم لم يرسلوا ردودهم بعد .

قال ( إيزاك ) :

— دعك من هذا .. إنني أريد رأيك .

هتف ( إيعازر ) في دهشة :

— رأيي أنا ؟!

أوماً ( إيزاك ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا ( إيعازر ) .. إننا سنلعب معاً لعبة شهيرة ، تحمل اسم :

( ماذا تفعل ، لو كنت مكاني ) .

بدت الحيرة على وجه ( إيعازر ) ، فتابع ( إيزاك ) :

— سنفترض أننا نحن رجال المخابرات المصرية ، ونريد أن نرسل أحد

رجالنا ، لتصفية مكتب ( الموساد ) في ( باريس ) ، فكيف نختار هذا

الرجل ، وبأية هيئة نرسله ؟

ظلت الحيرة تكسو وجه ( إيعازر ) ، فاعتدل ( إيزاك ) ، وأخذ

يشرح فكرته ، قائلاً :

— إننا نعلم أن أحد الرجال الثلاثة رجل مخابرات بالغ الخطورة ،

ولقد اخترنا أسلوب الثلاثة ، أو على الأقل ما يحاولون إظهاره ، وبقي أن

نسأل أنفسنا ، من منهم يمكن أن يكون رجل المخابرات المنشود ؟

قال ( إيعازر ) في حماس :

— كلهم .

ابتسم ( إيزاك ) ، وقال :

— هذا مستحيل كما تعلم .. إنه أحدهم فحسب ، ولكن دعنا نضع

قواعد التخفي ، التي ينبغي أن يتبعها عميل سرى كهذا .. المفروض أن

يخفي شخصيته الحقيقية بالطبع ، وأن يحيط نفسه بالتغطية المناسبة ، بحيث

لا يلفت انتباهنا ، و ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

— يا للشيطان ! .. إنه هو بالطبع .

واجتاح الانفعال صوته وجسده ، وهو يستطرد :

— لقد عرفته .. عرفت رجل المخابرات المطلوب يا ( إيعازر ) .

انتقلت عدوى الانفعال إلى ( إيعازر ) ، الذي هب من مقعده ،

هاتفاً :

— من هو يا سيدي .. أخبرني ، وسيلقي مصرعه بعد ساعة واحدة .

برقت عيناً ( إيزاك ) ، وهو يقول :

— لا يا ( إيزاك ) .. لن نقله .. أريد أن ألقن ( كاهان ) العتيق هذا

درساً ، في كيفية أداء اللعبة .. إننا سنلقى القبض على رجل المخابرات

المصري يا ( إيعازر ) .. وسنحضره إلى هنا .. وعلى قيد الحياة .

وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة ..

\*\*\*

على الرغم من دقة موقفها ، وصعوبة مهمتها ، كانت ( ريم ) تشعر بارتياح بالغ . عندما استيقظت هذا الصباح ، حتى أن ابتسامتها تألقت على وجهها ، وهي تغادر فراشها ، وتغتسل ، وتبدأ في ارتداء ثيابها .. وفي هذه المرة راحت تنتقى ثوبها في عناية ..

وبعد نصف ساعة من التردد ، اختارت ثوباً أزرق ، له حزام أبيض كبير ، بدا رائعاً على جسدها الجميل ، وتصفيقة شعرها الأنيقة ، وابتسمت في سعادة ، وهي تتطلع إلى نفسها في المرآة ، ثم اتجهت إلى الهاتف المجاور لفراشها في مرح ، وطلبت رقمًا قصيرًا ، لحجرة أخرى في نفس الفندق ، ولم يكد الرنين يبدأ ، حتى التقط صاحب الحجرة الأخرى سماعة هاتفه ، وقال في لهفة :

— أنا ( رشدي ) .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وكأنها تقف أمامه مباشرة ، وقالت :

— هل استيقظت ؟

أجابها في لهفة :

— إنني أنتظر استيقاظك أنت بفارغ الصبر .

أسعدتها عبارته ، وسألته في حياء :

— ما رأيك في هذا الفندق ؟ .. أهو أفضل من فندقك السابق ؟

أجابها في هيام :

— إنه أعظم فندق في العالم كله ، مادمت تقيمين فيه .

عاد وجهها يتضرج بحمرة الخجل ، وهي تقول :

— هذا يسعدني .

أدهشها أنها تتعامل معه بهذا الأسلوب ، وكأنها مراهقة صغيرة ، ينبض قلبها ، بالحُب لأول مرة ، وهي التي اعتادت مواجهة المخاطر والصعاب ، و ..

وانتزعت نفسها من هذا الاستكثار الداخلي ، لتضيف في خفر :

— هل ستهبط لتناول طعام الإفطار ؟

أجابها في لهفة :

— نعم .. سنلتقي في قاعة الطعام بعد خمس دقائق .. أتوافقين ؟

قالت في خفوت :

— بالطبع .

نطقتها وقلبا ينبض في قوة ، ثم أسرعته تلقى نظرة أخرى على ثوبها في

المرآة ، وغادرت حجرتها في لهفة حقيقية للقاء ( رشدي ) ..

إنها تحبه ولا شك ..

تحب طبيته وبساطته وحنانه ..

تحب فيه كل ما تمتته في فارس أحلامها ، منذ كانت صبية صغيرة ..

وعندما استقلت المصعد ، كانت تشعر أنها قد ارتدت بالفعل مجرد

صبية صغيرة ..

ولم يكد المصعد يصل إلى الطابق الأرضي ، حتى غادرت في لهفة ،

وأدارت عينها في المكان ، بحثاً عن ( رشدي ) ..



ورأته ..

رأته يتسم في سعادة ، ويتجه إليها في لفقة ..

وفجأة اعترض طريقه رجل ضخم ..

ولم تخطى عيناها المشهد ..

لقد رأت ذلك المسدس ، الذي دسه الضخم في معدة ( رشدي ) ،

وهو يقول شيئاً ما ، جعل وجه ( رشدي ) يحترق في شدة ، وهو يتطلع إليها

في قلق ..

وتحركت ( ريم ) في سرعة نحو ( رشدي ) والرجل الضخم ، وانعقد

حاجباها في غضب صارم ، ولكن ( رشدي ) هتف بها في توتر :

— لا يا ( ريم ) .

والتفت إليها الضخم في عدوانية وشراسة ، فأضاف ( رشدي ) :

— لا تقترني يا ( ريم ) .. إنه يطلب مني الانصراف معه فحسب .

قالت ( ريم ) في صرامة :

— لن يمكنه أن يؤذيك هنا يا ( رشدي ) .

ضغط الضخم فوهة مسدسه في معدة ( رشدي ) ، وهو يقول في

وحشية :

— هل تراهنين ؟

هتفت :

— إذن فأنت تتحدّث العربية .

تمم ( رشدي ) في توتر :

— كيف تتصوّرين أنني فهمت عبارته إذن ؟

قالت في حدة :

— على أى الأحوال ، لن أسمح له باختطافك أمام عيني هكذا .  
تلفت ( رشدى ) حوله في قلق ، ثم خفض صوته ، وهو يقول :  
— أرجوك يا ( ريم ) .. تدخلك سيؤدى إلى كارثة .. إننى أعلم  
ما سأفعله .. أرجوك .. إنه سيطلق النار على الأبرياء دون تردد ..  
صدقينى .. أنا أعرف هذا الطراز جيدًا .

تردّدت لحظة ، وقالت في حدة :

— لا يمكننى يا ( رشدى ) .

ولكنها شعرت فجأة بإبرة محقن تفوس في ذراعها ، مع صوت يقول  
بالفرنسية من خلفها :

— ألا يمكنك طاعة الأوامر أبدًا أيتها النساء ؟

أرادت أن تصرخ ، ولكن الأرض مادت بها ، وأظلمت الدنيا أمام  
عينها ، وسقطت فاقدة الوعي ، في الوقت الذى هتف فيه الرجل  
المتحدّث بالفرنسية :

— أسرعوا في طلب طيب .. لقد فقدت السيدة وعيها .

ثم أمسك ذراع ( رشدى ) ، ودفعه أمامه ، قائلاً في صرامة :

— هيا بنا .

ألقي ( رشدى ) نظرة قلقة على ( ريم ) ، التى ألتف حولها رواد  
الفندق وموظفوه ، يحاولون إسعافها ، وسأل الرجل المتحدّث بالعربية ،  
والرجلان يدفعانه نحو سيارتهما ، المتوقفة أمام الفندق :

— ماذا فعلتما بها ؟

أجابه الرجل في صرامة :

— اطمئن .. إنه مخدّر قوى فحسب .

تنهد في ارتياح ، وتركهيا يضعانه داخل السيارة . ثم يتقل الفرنسي  
لقيادتها ، في حين جلس اناطق بالعربية إلى جواره ، وألصق فوهة مسدسه  
بجانبه ، قائلاً :

— لم أكن أتوقّع استسلامك بهذه البساطة .

سأله ( رشدى ) في قلق واضح :

— ماذا كنت تتوقّع ؟

أجابه الرجل بالفرنسية ، فهزّ ( رشدى ) رأسه ، وقال :

— معذرة .. لست أفهم الفرنسية .

ابتسم الرجل في سخرية ، وقال بالعربية :

— لا داعى للتظاهر بهذا يا رجل .. لقد كشفنا أمرك .. كشفناه

يا رجل المتخبرات المصرية .

ولم يعترض ( رشدى ) ..

لم يعترض أبدًا .

\* \* \*

## ١٠ - الدليل ..

انطلق ( رءوف ) بالسيارة الأنيقة ، التي استأجرها ، فور وصوله إلى ( باريس ) ، وتطلّع في اهتمام إلى مرآة السيارة ، وهو يغمغم لنفسه :  
— من الواضح أنها مراقبة ، فلكل السيارة لم تتوقّف عن مطاردتي ، منذ غادرت فندق .

واصل سيره عبر الطريق الرئيسي في هدوء ، حتى اقترب من تقاطع طرق كبير ، فانحرف بالسيارة يسارًا ، وهو يقول :

— حسنا .. فلنثبت هؤلاء الأوغاد أنا أكثر مهارة منهم .

وفجأة انحرف يمينا ، وتجاوز الطريق في سرعة ، وسمع أكثر من نفير احتجاج ينطلق خلفه ، ولكنه تجاهل كل هذا ، ودلف إلى طريق جانبي ضيق ، ومرق عبره في سرعة ، ثم انحرف يسارًا مرة أخرى ، وعاد إلى طريق رئيسي آخر ، فابتسم في ثقة وسخرية ، وهو يتطلّع إلى مرآة السيارة ، قائلاً :

— هكذا أفلتنا من المطاردة .

وأوقف سيارته على جانب الطريق ، وغادرها في سرعة ، وأسرع نحو طريق جانبي آخر ، وعبره في خطوات أقرب إلى العدو ، قبل أن يتجاوزها إلى طريق آخر ، رفع يده يستوقف فيه واحدة من سيارات الأجرة ، وقفز داخلها ، وهو يلقي العنوان المنشور لسائقها بالفرنسية ، واسترخى داخلها ، وهو يتسم ساخرًا ، متممًا :

— أراهن أنني أفلتت من المراقبة تمامًا .

بدا هادئًا واثقًا ، وهو يسترخي في الأريكة الخلفية للسيارة في صمت وسكون ، حتى بلغت سيارة الأجرة العنوان المطلوب ، فغادرها ( رءوف ) ، ودخل بناية ضخمة ، حمله مصعدًا إلى الطابق العاشر ، حيث استقبله في أحد شققه رجل متين البنيان ، أكرت الشعر ، ابتسم وهو يصافحه في حرارة ، قائلاً :

— مرحبًا يا ( رءوف ) .. لم أتوقع وصولك في الموعد المحدود .

صافحه ( رءوف ) ، وابتسم بدوره ، وهو يقول :

— لم يكن ذلك سهلًا يا ( عوني ) .

خلع معطفه ، وألقاه على أوّل مقعد صادفه ، ثم اتجه في خطوات سريعة إلى النافذة ، وتوارى خلف ستارها ، وهو يزيحها جانبًا في حرص ، ويلقى نظرة على الطريق ، فسأله ( عوني ) في قلق :

— هل طاردك أحدهم ؟

أجابه ( رءوف ) :

— اطمئن .. لقد أفلتت منهم .

سأله ( عوني ) :

— أنت واثق ؟

أجابه في حزم ، وهو يعيد الستارة إلى موضعها :

— تمام الثقة .

تنهّد ( عوني ) في ارتياح ، وأشار إليه بالجلوس ، قائلاً :

— في ( القاهرة ) يشعرون بالقلق ، بسبب محاولة القتل هذه .

هز ( رءوف ) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— دعك من هذا ، وأخبرني .. هل يمكن إنهاء العملية الليلية ؟

عقد ( عوني ) حاجبيه ، وقال :

— لماذا ؟ .. أيسبب محاولة القتل ؟

أوما ( رءوف ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— محاولة القتل في حد ذاتها ، تعنى أن بعضهم كشف أمرنا ، ويرغب

في إزاحتنا عن الطريق ، ولكن هذا لا يقلقنى ، فهو أحد صور التنافس في

عالمنا ، ولكن أحد مفتشى الشرطة هنا يحاول البحث عن دليل ، يؤكد

تورطى في عمل غير مشروع ، وأظن السيارة التى طاردتنى سيارة شرطة ،

تتبع له ، وهذا يعرض عملياتنا لمخاطر لا داعى لوجودها ، وأفضل وسيلة

لتفادى هذه المخاطر ، هى أن ننتهى العملية بأسرع ما يمكن .

احتفظ ( عوني ) بحاجبيه المعقودين ، وهو يفكر في عمق ، ثم لم يلبث

أن هز رأسه ، وقال في حسم :

— لا يمكنى إجابة هذا السؤال ، قبل استشارة ( القاهرة ) .

أشار ( رءوف ) إلى الهاتف ، قائلاً :

— استشرهم إذن .

تطلع إليه ( عوني ) لحظة في تردد ، ثم قال :

— ولِمَ لا ؟

واتجه إلى الهاتف ، والتقط سماعته ، وقال وهو يضغط أزراره :

— هذا سيد هـش الآخرين ، وسيثير ارتباكهم .

ابتسم ( رءوف ) ، وقال :

— لن يدهشنى هذا .

مط ( عوني ) شففيه ، وارتسمت على وجهه علامات القلق ، ولكنه

لم يلبث أن اعتدل ، وقال في احترام :

— صباح الخير يا سيدي .. أنا ( عوني ) .

استمع إلى محدثه في اهتمام ، قبل أن يقول :

— لا .. لم يحدث أى أمر آخر .. ( رءوف ) بخير ، وهو يجلس هنا

أمامى .

ومال إلى الأمام ، وخفض صوته ، وهو يستطرد :

— إنه يطلب إتمام العملية الليلية .. نعم .. لديه مبرراته بالطبع .

نقل إلى محدثه كل المبررات ، التى ساقها إليه ( رءوف ) ، وأضاف

إليها رأيه الشخصى ، ثم استمع إلى محدثه في اهتمام بالغ ، وأخيراً ابتسم ،

قائلاً :

— شكراً يا سيدي .. هذا قرار حكيم بالتأكيد .

وأنتهى الاتصال ، ثم التفت إلى ( رءوف ) ، وضم قبضته ، ورفع

إبهامه ، وهو يتسم قائلاً :

— ابتهج يا رجل .. لقد وافقت ( القاهرة ) ، على إتمام العملية

الليلية .

ابتسم ( رءوف ) ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

— كنت أعلم أنهم سيوافقون .

ونفض من مقعده في حماس ، فسأله ( عوني ) :

— إلى أين ؟

أجابه في ثقة هادئة :

— إلى العمل يا رجل .. إلى اللقاء .

وغادر المكان في سرعة ، جعلت ( عوفى ) يتسم ويغتمغم :

— ياله من رجل !

ثم عاد إلى عمله ، وهو يعلم أن ( رءوف ) سيواجه الليله مخاطر

عظيمة ..

وضخمة ..

\*\*\*

التقط ( رفعت ) صورة واضحة ، لذلك الشخص ، الذى يراقبه منذ

الصباح ، وابتسم لنفسه قائلاً :

— عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام .

ثم أطلق من بين شفثيه صفيرًا منغمًا كالمعتاد ، وهو يستقل سيارته ،

عائذا إلى شقته ، ولم يكذب يبلغها حتى لمح ( مارتان ) أمام البناية ، يستند إلى

سيارته ، والغضب يملأ ملامحه فى وضوح ، فلم يكن من ( رفعت ) إلا أن

أوقف سيارته إلى جواره ، وقال فى هدوء :

— صباح الخير أيها المفتش .

لم يجب ( مارتان ) التحية على الفور ، وإنما تطلّع إلى ( رفعت ) فى

غضب ، قبل أن يقول فى عصبية واضحة :

— أهنتك يا مسيو ( رفعت ) .

غادر ( رفعت ) سيارته ، وهو يقول مبتسمًا :

— على ماذا ؟

أجابه فى حدة :

— على نجاحك فى الإفلات من المراقبة .

رفع ( رفعت ) حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— مراقبة !؟ .. أكانت هناك مراقبة حقًا ؟

تجاهل ( مارتان ) تلك النبوة الساخرة ، فى صوت ( رفعت ) ،

وسأله :

— أين تعلمت الإفلات من المطاردات يا مسيو ( رفعت ) ؟

أجابه ( رفعت ) فى رصانة ساخرة :

— الأمر يعود إلى كثرة الديون ، و ..

قاطعته ( مارتان ) فى حدة :

— فليكن .

ابتسم ( رفعت ) ، وهو يقول :

— أنت الذى يسأل .

قال ( مارتان ) فى حدة :

— لقد سئمت أسلوبكم هذا ، الذى يؤكد ظنوفى بشأن وجود أمر

مريب ، وأؤكد لك أننى سألقى القبض عليكم جميعًا ، عندما أضع يدي

على الدليل ، و ..

قاطعته ( رفعت ) :

— معذرة أيها المفتش ، هل ستمضى اليوم كله فى الاستماع لنصائحك

ومحاضراتك .. أعنى أن لدى الكثير من الأعمال ، و ..

هتف ( مارتان ) بكلمته التقليدية :

— فليكن .

ثم اندفع نحو سيارته ، مستطرذا :

— من يضحك أخيراً يضحك كثيراً .

وأدار محرك سيارته ، لينطلق بها في عاصية واضحة ، مما جعل

( رفعت ) يعقد حاجبيه ، مردداً في توتر :

— هذا لو كان هناك ما يدعو إلى الضحك أيها المفتش .

وصعد إلى شقته ، وهو يشعر أن الليلة ستحمل الكثير من القلق ..

ومن الخطر ..

\*\*\*

فتحت ( ريم ) عينيها في صعوبة ، وتطلعت لحظات إلى تلك الوجوه

الغريبة بها ، قبل أن يستعيد ذهنها تفاصيل الموقف كله ، فانسعت عيناها في

ذعر ، وهتفت :

— ( رشدي ) .. أين ( رشدي ) ؟

امتدت يد طبيب تربت على كتفها ، وصاحبها يقول بالفرنسية :

— اهدئي يا بنيتي .. اهدئي .. كل شيء على ما يرام .

صاحت به بفرنسية مماثلة :

— أين ( رشدي ) ؟

سألها في حيرة :

— من ( رشدي ) هذا ؟

هتفت :

— الشاب الذي كان بصحبتى .. عندما ..

لم تجد ماتم به عبارتها ، فلم يكن ذلك الجزء من ذاكرتها ، الخاص

بفقدانها الوعي ، قد استيقظ تماماً بعد ، مما جعلها تكرر في مرارة :

— أين هو ؟

ربت الطبيب على كتفها مرة أخرى ، وقال :

— لم يكن هناك أحد بصحبتك يا بنيتي ، عندما سقطت .

قالت في حدة :

— ولكنني واثقة .

أوما برأسه متفهماً ، وقال :

— هذا من تأثير العقار .

سألته في دهشة :

— أي عقار ؟

أجابها في وضوح ، وهو يتطلع إليها بنظرة عتاب :

— العقار المخدر ، الذي أدى إلى فقدانك الوعي .. إنه عقار قوي ،

يسبب لمعاطيه فقدان الشعور بالزمان والمكان ، ويفسد ذاكرته

ومشاعره ، و ..

مطاً شفتيه ، وهو يرمقها بنظرة خاصة ، مستطرذا :

— وفي النهاية يدمر متعاطيه تماماً .

حدقت في وجهه لحظات في دهشة وحيرة ، ثم هتفت في غضب :

— إنك تتحدث كما لو كنت مدمنة مخدرات .



أشاح بوجه عنها ، وهو يقول :  
— تحليل الدم أثبت وجود نسبة كبيرة من عقار مخدر قوى ، وهذا  
يعنى سوى ..

قاطعته في توتر :

— أريد إجراء محادثة هاتفية .

ابتسم قائلاً :

— لا داعي للقلق .. إننا لم نبلغ الشرطة ، ولن ..

قاطعته مرة أخرى في حدة :

— أرجوك .. أريد إجراء محادثة هاتفية .

أشار إلى الهاتف المجاور لفراشها ، قائلاً :

— ومن يمنعك ؟



التقطت سماعة الهاتف في لهفة ، وضغطت أزراره في سرعة ، في حين  
انصرف الطبيب بصحبة المريضة ، وهو يقول لهذه الأخيرة :

— ستبقى تحت المراقبة لست ساعات أخرى ، وبعدها يمكنها

الانصراف .. بعد سداد رسوم المستشفى بالطبع .

لم تسمع ( ريم ) هذا ، ولم تتبه إليه ، وهي تتحدث عبر الهاتف ،

قائلة :

— أنا ( ريم ) .. لا .. لست أتحدث من الفندق ، بل من

المستشفى .. سأشرح لك كل شيء فيما بعد .. المهم .. هل تذكر ذلك

الشاب ، صاحب الوجه الطفولي ، الذي كان يجادل شرطى المرور ، في

( الشانزليزيه ) ؟ .. لقد اختطفوه .. نعم .. اختطفوه .. إنهم يتصورون

أنه يعمل لحسابكم بالتأكيد .. لا بد من إنقاذه .. لا بد ..

كان قلبها يرتجف بين ضلوعها ، وهي تهتف بالعباراة ، وعقلها يلقي على

مشاعرها سؤالاً واحداً لا يتغير ..

أين ( رشدى ) .. الآن ؟ ..

أين ؟ ..

\*\*\*

تألقت عينا ( إيزاك ) ببريق ظافر ، وهو يتطلع إلى ( رشدى ) ، الذى

جلس على مقعده مرتجفاً متوتراً ، يدير عينيه في المكان في خوف واضح ،

في حين عقد ( كاهان ) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى ( رشدى ) بدوره ، قبل

أن يلتفت إلى ( إيزاك ) ، قائلاً :

— إنه لا يبدو لي أبدًا كرجل مخبرات بالغ الخطورة .

نفث ( إيزاك ) دخان سيجارته ، وهو يقول :

— إنه يحسن تمثيل دوره فحسب .

ثم التفت إلى ( رشدي ) ، قائلاً :

— أليس كذلك يا رجل ؟

تطلع إليه ( رشدي ) في حيرة ، وارتجفت الكلمات على شفثيه ، وهو

يقول :

— معذرة يا سيدي .. إنني أجهل الفرنسية .

ابتسم ( إيزاك ) في سخرية ، وقال :

— أما زلت تصرّ على التظاهر بالغباء ؟

ثم أردف بالعربية :

— فليكن .. هل تفهم هذه اللغة ؟

ازدرد ( رشدي ) لعابه في وضوح ، وهو يقول :

— نعم يا سيدي .. أفهمها .

التقط ( إيزاك ) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه في عمق ، قبل أن

يلتفت إلى ( رشدي ) ، قائلاً في ثقة :

— اسمح لي أولاً بتبنتك يا رجل ، فلقد نجحت في خداعنا طويلاً ،

حتى تصوّرنا أنك بالفعل مجرد تاجر خردوات بسيط ، يسعى لعقد صفقة

مربحة في ( باريس ) .

غمغم ( رشدي ) مرتبكًا :

— ولكنني كذلك بالفعل يا سيدي .

لوح ( إيزاك ) بيده ، وقال :

— قلت لك لا داعي لمواصلة الخداع .. لقد كشفت أمرك تمامًا ..

إنك بالفعل شديد البراعة ، ولكنك لن تخدع رجلاً مثلي .. أنا أعلم أنك

رجل اتخبرات المصري ، وأنتك تفهم اللعبة جيدًا ، بدليل إنقاذك

لـ ( رفعت ) في ( الشانزليزيه ) .

غمغم ( رشدي ) :

— لقد تعثرت ، و ..

قاطعته ( إيزاك ) :

— هذا ما أردته أن يبدو للآخرين ، ولكن الواقع أنك تظاهرت

بهذا ، لتدفعه بعيداً عن مرمى النيران .

قال ( رشدي ) ، في لهجة أقرب إلى البكاء :

— وكيف لي أن أعلم ، أن أحدهم ينوي إطلاق النار عليه ؟

تجاهل ( إيزاك ) هذا الاعتراض تمامًا ، وقال :

— ثم خدعت رجلنا ، الذي حاول قتلك ، وجعلته يطعن صندوق

الكهرباء بدلاً منك .

بدا ( رشدي ) أقرب إلى الانهيار ، وهو يقول :

— كانت مجرد مصادفة .

فهقه ( إيزاك ) ضاحكًا ، وهو يقول :

— حقًا ؟!

ارتفع في تلك اللحظة رنين الهاتف ، فالتقط ( إيعازر ) سماعته ،

وقال بصوته الأجرس الغليظ :

— هنا المكتب الثقافي الإس ..

وبتر عبارته ، ليستطرد في لهفة :

— نعم يا ( داوود ) .. إننا ننتظر بك بفارغ الصبر .

والنفت إلى ( إيزاك ) ، قائلاً :

— إنهم رجالنا في ( القاهرة ) .. لقد حصلوا على المعلومات اللازمة .

قال ( إيزاك ) في انفعال :

— مرهم بارساها بـ ( الفاكسميل ) على الفور .

ثم رمق ( رشدي ) بنظرة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

— وليبدءوا بمعلوماتهم عن ( رشدي كامل ) .

ازدرد ( رشدي ) لعابه في وضوح مرة أخرى ، وبدأ شديد التوتر ،

وهو يتطلع إلى جهاز ( الفاكسميل ) ، الذي ضغط ( إيعازر ) أزراره ،

وجلس ينتظر الجواب ..

وفي بضع ، ظهرت ورقة كبيرة عبر ( الفاكسميل )<sup>(\*)</sup> ، التقطها

( إيزاك ) في لهفة ، وألقى نظرة سريعة على محتوياتها ، قبل أن ينعقد حاجباه

في شدة ، ويختطف سماعة الهاتف من يد ( إيعازر ) ، قائلاً في انفعال :

— أنت واثق من هذه المعلومات يا ( داوود ) ؟

بدأ التوتر على ملامحه أكثر ، وهو يستمع إلى الجواب ، مما دفع

( كاهان ) إلى سؤاله :

— ماذا هناك ؟

أزاح ( إيزاك ) السماعة عن أذنه ، وقال في انفعال واضح :

— مفاجأة .. مفاجأة مذهلة .

وكان على حق .

\*\*\*

(\*) الفاكسميل : جهاز لنقل الصور والرسائل والأوراق ، عبر أسلاك الهاتف .

## ١١ — المفاجأة ..

لم يكذب ( رءوف ) يوقف سيارته أمام فندق ( ريتز ) ، حتى ظهر أمامه

المفتش ( مارتان ) ، وهو يقول :

— مرحباً يا مسيو ( رءوف ) .. كيف حال سيارتك الأنيقة ؟

أجابه ( رءوف ) في برود ، وهو يفادر السيارة ، ويسلم مفاتيحها إلى

عامل الفندق :

— لم لا تطرق الأمر مباشرة أيها المفتش ؟

كان ( مارتان ) يتوقع هذا الأسلوب الهجومى ، لذا فقد احتفظ بهدوء

أعصابه ، وهو يقول :

— فليكن يا مسيو ( رءوف ) .. هلاً أخبرتنى ، لماذا هربت من

المراقبة هذا الصباح ؟

أجابه ( رءوف ) في لامبالاة ، وهو يتجه إلى بهو الفندق :

— إننى أكره كونى مراقباً ، ثم إنك لا تملك الحق في مراقبتى ، فأنا

المجنى عليه لا الجانى ، وسأقدم بشكوى إلى رؤسائك .

قال ( مارتان ) ، وهو يتبعه إلى المصعد :

— تقدم بالشكوى التى تحلو لك يا مسيو ( رءوف ) ، فأنا أودى

واجبى ، أما كونك المجنى عليه أو الجانى ، فهذا ما ستثبته التحريات .

الفتت إليه ( رءوف ) بحركة حادة ، وقال في صرامة :

— اسمع أيها المفتش .. إننى رجل أعمال ، وأنا هنا لعقد صفقات

خاصة ، تتجاوز أقلها مرتبك في قرن كامل ، وتتبعك الدائم لى بشير أعصابى ، وقد يتسبب فى خسارة صفقاتى ، مما سيمنحنى الحق فى مقاضاتك .

سأله ( مارتان ) فى اهتمام :

— وما نوع هذه الصفقات ؟

تطلع إليه ( رءوف ) فى برود ، وقال :

— مخدرات .. أيروق لك هذا الجواب ؟

أجابه ( مارتان ) فى برود مماثل :

— كثيرا .

ثم استدار ، ولوح بكفه ، مستطرذا :

— ولكن لاتجعل المراقبة تقلقك كثيرا ، فهى ستستمر ، حتى آخر

لحظة لك هنا .

ابتسم ( رءوف ) فى سخرية ، وهو يقول لنفسه :

— لن يطول هذا كثيرا .

واستقل المصعد فى هدوء ، وعقله يرتب الأمور ، ويضع حساباته

للضربة الكبرى ، فى منتصف الليل ..

الضربة الأخيرة ..

\*\*\*

ارتفع حاجبا ممرضة المستشفى فى دهشة ، وهى تحديق فى ( ريم ) ، التى

ارتدت ثيابها ، واستعدت للخروج ، وهتفت بها :

— خطأ يا مدموازيل .. غير مسموح لك بالانصراف ، قبل الثالثة .

أزاحتها ( ريم ) عن طريقها ، وهى تقول فى صرامة :

— اضبطى ساعتك إذن ، فلن أبقى لحظة واحدة بعد الآن .

جرت الممرضة خلفها ، فى ممرات المستشفى ، هاتفة :

— إنك متسبين فى إيذائى ، فالطبيب لن يسمح بهذا .

لوثت ( ريم ) بكفها ، هاتفة :

— فليذهب إلى الجحيم .

توقفت الممرضة فى يأس ، وهى تهتف :

— وماذا عن رسوم المستشفى ؟

ظهر شاب فى نهاية الممر ، يقول فى هدوء :

— لقد تم سداده ، وها هوذا الإيصال ..

هتفت ( ريم ) ، وهى تسرع نحو الشاب :

— ( علاء ) .. حمدا لله أنك أتيت .. أخبرنى .. هل توصلتم إلى

شئ ، بخصوص ( رشدى ) ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يسير إلى جوارها ، فى خطأ سريعة ، إلى خارج

المستشفى :

— ليس بعد ، ولكننى أظنه بخير .

سألته فى حدة :

— ولماذا تظن هذا ؟ .. أنسيت أنهم حاولوا قتله من قبل ؟

مط شفتيه ، وقال :

— لست أدرى لماذا حاولوا ، ولكن الأمور ليست كما تتصورين على الأقل .

سأله في توتر :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يجيب :

— أعنى أن كل شيء يسير على مايرام ، بالنسبة لخطتنا

صاحت :

— على الرغم من كل هذا ؟

أجابها في هدوء :

— نعم .. إنهم لم يشكروا في أمرك على الأقل ، وهذا أهم ما في الأمر

قالت في غضب :

— لم يشكروا في أمري ؟ .. كيف تفسر ما حدث لـ ( رشدى )

إذن ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

— مجرد خطأ .

صاحت مستكبرة :

— خطأ ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. مجرد خطأ .

وعلى الرغم من ثقتها به ، وبكل ماينتمى إليه ، فقد شعرت مع كلماته

بالقلق ..

القلق الشديد ..

\*\*\*

سرت انتفاضة عجيبة في جسد ( كاهان ) ، وهو يسأل ( إيزاك ) في

قلق :

— أية مفاجأة هذه ؟

أجابته ( إيزاك ) بالفرنسية في عصبية :

— هذه الأوراق تقول .. إن ذلك الرجل تاجر خردوات في

( الموسيقى ) بالفعل .

غمغم ( كاهان ) ، في لهجة خلت — تقريباً — من أى انفعال :

— حقا ؟!

لوح ( إيزاك ) بالأوراق ، وهو يهتف في عصبية :

— هناك خطأ حتماً .. أنا والتقى بأن هذا الرجل هو من نبحت عنه .

أجابته ( إيعازر ) في تردد :

— لا توجد أخطاء يا سيدي .. ( داوود ) شديد الدقة والحرص ،

في مثل هذه الأمور .

صاح ( إيزاك ) :

— لقد أوقع به المصريون إذن ، وهم الذين أجبروه ، على إرسال مثل

هذا التقرير ، لتغطية رجلهم .

أجابته ( كاهان ) :

— مستحيل ، فلو أن هذا ماحدث ، لأرسل ( داوود ) الكلمة المتفق

عليها ، في بداية التقرير ، والتي تشير إلى ماحدث ، وإلى أنه يرسل تقريره

مرغماً ، أو تحت التهديد .

صاح ( إيزاك ) في حدة :

— ربما أجبروه على عدم إرسالها .

قال ( كاهان ) في صرامة :

— هذا مستحيل أيضاً ، فهي كلمة عادية للغاية ، لا يمكن لسوانا

ملاحظتها ، أو فهم مفرزاها .

بدا الغضب والحني على وجه ( إيزاك ) ، والتفت في عصبية إلى ( رشدي ) ، الذي أطلت الحيرة من عينيه ، وهو ينقل بصره بين وجوه الجميع في قلق ، فهتف به ( إيزاك ) بالفرنسية :

— لقد نجح رفاقك في تغطيتك .. أليس كذلك ؟

ارتجفت الكلمات مرة أخرى ، على شفطي ( رشدي ) ، وهو يقول :

— أرجوك يا سيدي .. لست أفهم حرفاً واحداً من حديثك .. أقسم

لك .

قال ( كاهان ) في صرامة :

— رأيت في حياتك رجلٌ مخبرات مصري ، يرتجف رعباً على هذا

النحو ؟ هيا يا ( إيزاك ) .. اعترف بخطئك .

صاح ( إيزاك ) :

— مستحيل !

ثم عاد يلوح بالأوراق ، هاتفاً :

— هذا التقرير يؤكد أن ( رشدي كامل ) تاجر خردوات بسيط ،

بجى ( الموسيقى ) ، ولكن من يؤكد أن الجالس أمامنا هو نفسه ( رشدي

كامل ) ؟

أجابه ( إيعازر ) :

هذا يا سيدي .

التفت إليه ( كاهان ) و ( إيزاك ) ، فاستطرد ، وهو يلتقط ورقة

أخرى من جهاز ( الفاكسميلي ) :

— هذه الصورة وصلت عبر ( الفاكسميلي ) ، وأنتا تناقشان أمر هذا

الرجل .



ورفع أمامهما الورقة ، التي تحمل صورة واضحة لـ ( رشدي كامل ) ، الذي يجلس أمامهما ..

وامتقع وجه ( إيزاك ) ، وهو يتطلع إلى الصورة ، في حين ابتسم ( كاهان ) في شماتة ، وهو يقول :

— لم يعد هناك شك .. إنها صورته .

بقى ( إيزاك ) صامتاً متمتعاً لحظات ، ثم اندفع نحو الهاتف ، واختطف سماعته من ( إيعازر ) ، وهو يقول :

— اسمعني يا ( داوود ) .. هل تأكدت من هذه المعلومات ؟ .. هل

تحدثت مع التجار الآخرين في ( الموسيقى ) ؟ .. هل .. ؟

بتر عبارته ، وهو يستمع إلى ( داوود ) في انتباه كامل ، قبل أن يعيد السماعة إلى ( إيعازر ) في حدة ، قائلاً :

— لا بأس .. اطلب منه إرسال باقي التقارير .

ثم التفت إلى ( كاهان ) ، مستطرداً في توتر :



## العلاج

( قصة قصيرة )

سرى التيار الكهربى فى عنف ، عبر الأسلاك الرفيعة ، إلى القطبين الملتصقين بصدغ الرجل ، الراقد فوق منضدة طيبة ، داخل حجرة ضعيفة الإضاءة ، فى مستشفى الأمراض العقلية ، فانتفض جسد الرجل فى قوة ، وانطبقت أسنانه فى عنف ، على قطعة المطاط السميقة ، التى انحسرت فى فمه ، وانقبضت عضلاته كلها ، حتى كادت تمزق تلك الأربطة الجلدية المثبتة التى تقيّد ذراعيه ووسطه وساقيه إلى المنضدة ، وراح جسده يرتجف لثوان طويلة ، قبل أن تجذب يد ذراع آلة صغيرة ، فيتوقف سريان التيار ، وينهار جسد الراقد ، وتتوقف انتفاضته ، ويتصّب عرق غزير على وجهه ..

ولى هدوء ، جفّ أحد الرجلين الآخرين فى الحجرة العرق ، عن

— الجميع يعرفونه فى ( الموسكى ) ، فهو ابن تاجر أدوات تجميل ، توفى منذ عام واحد ، وهو وريثه الوحيد ، ولقد تسلم المتجر ، ويحاول إدارته على نحو جيد ، منذ وفاة والده .

حاول ( كاهان ) عبثاً إخفاء ابتسامته الشامتة ، وهو يقول :  
— لا بأس .. إنه مجرد خطأ .

رمقه ( إيزاك ) بنظرة غاضبة محنقة ، وهو يقول :

— كنت أتصوّر المصريين أكثر ذكاءً .

أجابه ( كاهان ) :

— إنهم كذلك حتماً ، مادامنا لم نتوصل بعد إلى عميلهم .

أطفاً ( إيزاك ) سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

— ستوصل إليه حتماً .

ثم استل مسدسه من جيب سترته ، وألصقه بصدغ ( رشدى ) ، الذى

اتسعت عيناه فى ذعر ، و ( كاهان ) يقول :

— ماذا ستفعل ؟

أجابه ( إيزاك ) ، بكل مايملاً نفسه من غضب وحنق :

— كنت أظن هذا واضحاً ، فهذا السخيف يعرف أكثر مما ينبغي ،

وسأفعل أنا معه ما ينبغي .

وجذب إبرة المسدس ، مستطرذاً فى صرامة :

— سأقتله .

وانقبضت كل عضلة فى جسد ( رشدى ) ..

وابتسم ملك الموت .

\*\*\*

• البقية فى الكتاب القادم من كوكتيل ٢٠٠٠ •

جيبين الراقد ، في حين قال الآخر ، الذي يجلس إلى جوار جهاز الصدمات الكهربائية :

— تماسك يا رجل .. تماسك .. أنت تعلم أن ما نفعله بك مجرد علاج .

حاول الراقد أن يفتح جفنيه في صعوبة ، ثم لم يلبث أن تركهما يهويان فوق عينيه ، فهزّ الجالس إلى جوار جهاز الصدمات الكهربائية رأسه في أسف ، وقال :

— أعلم أن هذا يرهقك ، وأن سريان التيار الكهربائي في رأسك يؤلمك ويزعجك ، ولكن صدقني يا رجل .. إنه أفضل علاج لدينا .

ثم رفع عينيه إلى الرجل الآخر ، مستطرذا :

— أليس كذلك يا ( وجدى ) ؟

أوماً ( وجدى ) برأسه إيجاباً ، وتعمم :

— بلى .

مدّ زميله يده إلى جهاز الصدمات الكهربائية مرة أخرى ، وجذب ذراعه ، فعاد الراقد ينتفض في ألم ، ويضغط قطعة المطاط بأسنانه في قوة ، حتى أوقف الرجل الجهاز ، فتهاك جسد الراقد ، وعاد العرق يتصبّب فوقه في غزارة ، فامتدّت يد ( وجدى ) تجفّف العرق في آلية ، في حين استطرد زميله :

— أنت تعلم أن هذا مستشفى حكومي ، لا يتلقى المرضى فيه العلاج المناسب ، وكل من يأتي إلى هنا يكون مصاباً بمرض عقلي ، يمنعه من التعايش مع المجتمع ، وهذا يعني ، في عرف العاملين هنا ، أن عقله مصاب بخلل ما ،

يحتاج إلى علاج خاص .

ثم مال نحو الراقد ، مستطرذا :

— وهذا العلاج غالي الثمن ، وميزانية المستشفى محدودة .

وتراجع مضيفاً في أسف :

— وأهل المريض عادة فقراء ، لا يملكون شراء الأدوية المناسبة ، أو

عرض المريض على طبيب رحيم .

ثم دفع ذراع الجهاز مرة أخرى ، متابعاً :

— ولهذا لا يوجد علاج سوى هذا .

انتفض جسد الراقد في عنف أكثر هذه المرة ، وجحظت عيناه في ألم ،

وتشججت أطرافه في شدة ، وتصلّب جسده ، حتى كاد يمزق أربطته ..

وفي هذه المرة استمرت الصدمة الكهربائية لوقت أطول ، قبل أن

يوقفها الرجل ، ويشير إلى جبهة الراقد ، قائلاً في هدوء :

— العرق يا ( وجدى ) .

جفّف ( وجدى ) العرق بنفس الآلية ، وهزّ زميله رأسه بنفس

الأسف ، قائلاً :

— كم تؤلمني رؤيتك ، وأنت تعاني كل هذا ، ولكن ما العمل ؟ قلت

لك إن هذا أفضل علاج لدينا .

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطرذا :

— ولا أكذبك القول .. إنه أحياناً نوع من العقاب .

رفع ( وجدى ) عينيه إليه في برود ، ثم عاد يجفّف العرق ، وكان

الأمر لا يعنيه ، في حين اعتدل زميله ، وهزّ كتفيه ، متابعاً :



— هذه هي الحقيقة .. نعم .. الصدمات الكهربائية تعتبر هنا أيضا مجرد عقاب ، لكل من يرفض الانصياع للأوامر ، مهما كانت قاسية ، أو ديكتاتورية ، أو سخيفة .. المسئولون هنا يتعاملون مع الجميع على أنهم مخلوقات من الفئة الثالثة أو الرابعة ، لا حق لهم في الحياة ، أو في التفكير .

وابتسم في سخرية ، مضيئاً :

— وكلمة المسئولين هذه ، تنطبق على الجميع ، من مدير المستشفى ، وحتى أصغر ممرض هنا .

اتسعت ابتسامته ، وشرد بصره لحظات ، وكأنه يسترجع ذكرى ما ، قبل أن يعود ليقول :

— أحياناً يكون الممرضون أكثر سطوة ، وأكثر قسوة ، ربما لأنهم الذين يقضون الوقت الأكبر مع المرضى .

وعاد يميل نحوه ، مستطرداً :

— أتعلم أنهم أكثر من يستخدم هذا الجهاز عادة ؟

وجذب ذراع الجهاز في حركة حادة ، مضيئاً :

— هكذا .

راح جسد الراقدة ينتفض في قوة ، وجمحت عيناه أكثر وأكثر ، وتصلبت أطرافه على نحو مخيف ، وترك الجالس التيار الكهربائي يسري في جسد الراقدة ، وهو يتطلع إليه بنظرات خاوية ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، ثم

أوقف الجهاز بغتة ، فنهالك الراقدة في انبهار تام ، وتصبب العرق على جبينه أكثر غزارة ، وامتزج بدموع الألم والمرارة ، التي تسيل من عينيه ، فتهد الجالس وقال :

— أعلم .. أعلم أن هذا يؤلمك كثيراً ، ويكاد يذيب مخك داخل جمجمتك ، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل .. إنه قدرك .. أنت تعلم أنه ليس من السهل أن ينتهي هذا العلاج ، فلا يوجد مخلوق واحد في الدنيا كلها ، يمكنه أن يجزم بكونك شخصاً عاقلاً ، بعد دخولك هذا المكان .. لا أحد يجرؤ على التصريح بهذا رسمياً .

ارتفع صوت طرقات قوية على الباب ، فابتسم الجالس ، وقال :

— يبدو أنهم يحتاجون إلى الحجرة ، لعلاج مريض آخر .

وجذب ذراع الجهاز في عنف ، وترك التيار يسري في جسد الراقدة ، وهو يتطلع إليه في نخواء ، والطرقات ترتفع أكثر وأكثر ..

ثم اقتحم عدة رجال الحجرة ، بعد أن حطّموا بابها ، وهتف الذي يرتدى زى الشرطة منهم :

— أوقفوا هذا الجهاز .

أوقف الجالس الجهاز في هدوء ، وهو يقول :

— كيف تقتحم الحجرة هكذا ؟

ولكن المصاحبة للشرطي اندفعوا نحو المنضدة ، وراحوا يملّون وثاق الراقدة في لفظة ، في حين التفت الشرطي إلى الجالس ، وسأله في صرامة :

— أنت الطبيب ؟

ابتسم الجالس ، دون أن ينبس ببنت شفة ، في حين هتف أحد الذين

روايات مصرية للجيب

حكاية

قصة العدد



جزيرة القدر

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للتبليغ والنشر والتوزيع  
100 شارع النور - القاهرة - 11511

العلاج .. ( قصة قصيرة )

١٤٨

يفحصون الراقد في جزع :

— لا .. إنه أحد المرضى ، وذلك الواقف زميل له

هتف الشرطي في دهشة :

— أين الطيب إذن ؟

أشار الجميع إلى الراقد ، وهم يحيون في آن واحد :

— ها هوذا .

وهنا اتسعت ابتسامه الجالس ، وتحولت إلى ضحكة عالية ..

ضحكة مجنونة ..

وشامته ..

\* \* \*

## ١ - أمنية ..

ضجعت قاعة المؤتمرات الكبرى في ( نيويورك ) بالتصفيق والتهنئة ،  
عندما انتهت الذكورة ( وفاء ) من إلقاء بحثها الأخير ، حول نظم  
الكمبيوتر والمعلومات ، والذي أضاف منهجاً جديداً ، إلى مناهج البحث  
المعروفة ، في عالم الكمبيوتر ، وتضرج وجه الذكورة ( وفاء ) بحمرة  
الحجل ، وهي تبسم في سعادة ، وتقاوم في صعوبة دموع الفرح ، من  
الإفلات من عينيها الجميلتين ، أمام هذا النجاح الرائع ، التي لم تحلم بمثله  
قط ، ونهضت من مقعدها خلف المنصة في بظء ، وجسدها يرتجف ارتجافة  
ظفر لذيدة ، وأزاحت في رقة خصلة ناعمة ، من شعرها الأسود الجميل ،  
قبل أن تهبط في درجات السلم القصير ، لتلتقي بعلماء الكمبيوتر من كل  
الجنسيات ، الذين يملئون قاعة المؤتمرات ..

وفي حماس منقطع النظير ، هتف بها عالم كمبيوتر فرنسي ، وهو  
يصافحها في حرارة :

— رائع يا سيدتي .. رائع .. لقد حققت نصراً في عالمنا ..

وابتسم عالم أمريكي ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

— باستخدام معادلاتك الجديدة ، لن يكون هناك كمبيوتر مغلق ..

كل البرامج أصبحت مفتوحة .

كانت ترغب في رد تهنتهم بعبارات رقيقة ، ولكنها شعرت أنها  
ستفجر باكية في سعادة ، لو فحمت شفتيها لتتطرق حرفاً واحداً ، فاكتفت

بهز رأسها في امتنان ، وهي تغالب دموعها ، وسمعت عالماً أمريكياً ،  
آخر ، يقول في حماس :

— أراهن أنك ستصبحين مليونيرة ، بعد عام واحد على الأكثر ، فكل

الشركات الأمريكية والأوروبية ستهافت لشراء برنامجك الجديد .

قاطعته صوت يتحدث الأمريكية ، بلكنة شرقية واضحة :

— أظنها ستفضل منح الامتياز لأبناء وطنها .

بدت لها نبرة الصوت مألوفة ، فالتفتت إلى صاحبها ، وهتفت :

— ( فحى ) ؟! .. ( فحى فرمان ) ؟! .. ماذا تفعل هنا ؟

صافحها الشاب الطويل النحيل ، وهو يتبسم قائلاً :

— قرأت عن حضورك إلى مؤتمر الكمبيوتر التاسع ، فقررت الحضور

لرؤيتك .

هتفت :

— وهل أتيت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لرؤيتي فحسب ؟

أطلق ضحكة مرحة ، وقال :

— من الواضح أنك لا تعلمين شيئاً عن أخباري .

قالت في بساطة :

— هذا صحيح ، فحن لم نلتق مرة واحدة ، منذ تخرجنا .

تطلع إلى ملامحها الجميلة ، وهو يتبسم قائلاً :

— هذا صحيح ، ولكنك لم تتغيري كثيراً ( وفاء ) .. ما زلت فاتنة

وذكية .

تضرج وجهها بحمرة الحجل ، وغمغمت في حياء :

— لا بد أنني قد تغيرت بعض الشيء .. إننى فى الثانية والثلاثين .  
 أطلق ضحكة مرحة أخرى ، وقال :  
 — يا إلهى ! .. يلوح لى أنك المرأة الوحيدة فى العالم ، التى تذكر سنها  
 بهذه البساطة يا ( وفاء ) .  
 هزّت كفتها ، قائلة :  
 — ولماذا أخفيه ؟  
 ضحك قائلاً :  
 — دعينا نلق هذا السؤال على نساء الدنيا .  
 ضحكت ضحكة قصيرة لدعابته ، ثم تأملته فى اهتمام .  
 إنه لم يختلف كثيراً ، عما كان عليه فى أيام الجامعة .. فقط هذان  
 الفودان ، اللذان وخطهما الشيب بعض الشيء ، وتلك الحلة الأنيقة  
 الفاخرة ، ورباط العنق الحريرى ..  
 وفى بساطة سألته :  
 — أحقاً أتيت إلى هنا لرؤيتى فحسب ؟  
 أو ما برأسه إيجاباً ، وقال :  
 — هذا صحيح ، ولكننى لم آت من ( القاهرة ) كما تتصورين . فإنا  
 أقيم هنا منذ عشر سنوات .  
 هتفت فى دهشة :  
 — هنا فى ( أمريكا ) ؟!  
 ابتسم ، وأشار بسبابته ، قائلاً :  
 — وفى ( نيويورك ) بالذات .

تطلعت مرة أخرى إلى ثيابه الفاخرة ، وقالت :  
 — أراك قد حققت بعض النجاح هنا .  
 ضحك وقال :  
 — بل الكثير منه يا عزيزتى .  
 ومال نحوها ، مستطرذاً فى همس مرح :  
 — لقد أصبحت مليونيراً .  
 رفعت حاجبها ، هاتفة :  
 — حقاً ؟!  
 هزّ كفتيه ، وقال :  
 — لقد فعلت مثلك ، واستثمرت علوم الكمبيوتر ، التى درسناها معاً ،  
 ولكننى فعلت هذا بأسلوب مختلف ، والآن أمتلك واحدة من أضخم  
 شركات الكمبيوتر فى ( نيويورك ) .  
 تهللت أساريرها ، وهتفت فى حماس :  
 — رائع يا ( فتحى ) .. كنت دائماً تحلم بهذا .  
 تأمل ملامحها لحظة ، قبل أن يقول :  
 — وبأشياء أخرى أيضاً .  
 تظاهرت بعدم فهم ما يلّمح إليه ، ولكن وجهها حمل آثار ذلك  
 الحياء ، الذى ملأ نفسها ، فابتسم ( فتحى ) فى شىء من الثقة والارتياح ،  
 واعتدل وهو يقول :  
 — والآن ما رأيك فى بيع برنامجك لشركتى ؟  
 ترددت لحظة ، قبل أن تقول :  
 — أهى شركة مصرية أم أمريكية ؟

لُوح بكفه ، قائلاً بالأمريكية :

— ( وفاء ) .. إننى أحمل جنسية أمريكية الآن .

مطت شفيتها ، وقالت :

— كنت أفضل بيعها لشركة مصرية .

ابتسم وهو يقول :

— دعك من هذه الأفكار المثالية ، فلم تعد تصلح سوى لروايات

السينما الرديئة .

ثم أضاف فى سبعة ، قبل أن يعطيها فرصة التفكير فى عبارته .

— ولكن دعينا نؤجل ذلك الآن .. إننى أدعوك لتناول طعام الغداء

معى .

وتوقف ليسألها فى اهتمام :

— أم أن هذا سيفضب زوجك ؟

أجابته فى خجل :

— إننى لم أتزوج بعد .

هتف فى لهجة ، حملت نبرة فرح :

— حقاً !!

ثم انتبه إلى سخافة قوله ، فتضح وأضاف :

— أعنى هل أصيب الرجال بالعمى ؟

ابتسمت فى خجل ، وهى تقول :

— كنت أريد الحصول على شهادة الدكتوراه أولاً .

أمسك كفتها ، وتطلع إلى عينيها ، وهو يقول :

— ليس الآن يا ( وفاء ) .. سأستمع إلى قصة حياتك كلها ، على

مائدة الغداء ..

هيا بنا .

لم تدر لماذا صحبته ، متجاهلة الحفل الختامى للمؤتمر ؟ ..

ربما هو الفضول ، الذى ملأ نفسها ، لمعرفة كيف يحيا ، بعد أن أصبح

مليونيراً أمريكياً ..

نعم .. هو الفضول ..

لقد استقلت معه سيارته الفاخرة ، التى لم تر مثيلاً لها ، فى حياتها

كلها ، وبهرتها أنافتها واتساعها ، وكل ما تحويه من أجهزة صوتية ،

وأدوات للراحة ، وتلفاز ، ومبرد خاص ، وخلافها ..

وعندما بلغا منزله .. أو بالأحرى قصره ، كان انبهارها قد بلغ

ذروته ..

إنه قصر كقصور الأساطير ، بأبراجه الأنيقة ، وشرفاته الواسعة ،

المطلّة على المحيط ، وأثاثه الذى لم تحلم بمثله قط ..

وبكل الانبهار فى أعماقها ، هتفت به :

— يا إلهى ! .. هل تمتلك كل هذا حقاً يا ( فصحى ) ؟

ابتسم قائلاً :

— إننى أربح الكثير .

دعاها لتناول الطعام فى واحدة من شرفات القصر ، وبهرها ذلك

العدد من الخدم ، الذين يقدمون الطعام ، ويحرصون على راحة سيدهم

وراحتها ، وشعرت بجسدها يسترخى ، فى ذلك المقعد الوثير ، وبأحلامها

تنطلق بعيداً ..

كم تمنيت أن تحيا في مكان كهذا ..

حدائق وأناقة و ثراء و فخامة ..

إنها أمنية عمرها ..

وفي تراخ و نشوة ، تطلعت إلى المحيط الممتد أمامها ، وهي تسترجع

أحلام صباها ، و سمعت ( فتحى ) يقول :

— والآن ، ما قولك بشأن صفقتنا ؟

التفتت إليه ، مغمضة في هيام :

— صفقتنا !!

ابتسم قائلاً :

— نعم .. موضوع برنامجك الجديد ..

أيقظها الحديث من نشوتها ، فاعتدلت قائلة :

— امنحنى بعض الوقت للتفكير يا ( فتحى ) .

قال في حماس :

— التفكير في ماذا ؟ .. لقد ابتكرت برنامجاً رائعاً ، وستسعى كل

الشركات للحصول عليه ، و ما دمت ستمنحنيه لإحداها حتماً ، إن عاجلاً

أو آجلاً ، فلم لا تكون شركتى ، خاصة وأنى سأمنحك ثمننا يفوق

ما سيمنحك إياه الآخرون ؟

قالت في تردد :

— ولماذا لا أمنحه لشركة مصرية ؟

عقد حاجبيه ، و مال نحوها ، قائلاً :

— اسمعى .. سأمنحك مليونى دولار ، مقابل برنامجك .

اتسعت عيناها في ذهول ، وهي تهتف :

— كم !؟

ابتسم في ثقة ، وهو يقول :

— لن يعرض عليك مخلوق واحد ، حتى الحكومة المصرية نفسها ،

نصف هذا المبلغ .

تطلعت إليه لحظات مشدوهة ، وقد أذهلها المبلغ ، الذى لم تحلم يوماً

بامتلاك عُشره ، و ارتجفت الكلمات على شفتيها ، و هممت بقول

شيء ما ..

ولكن تلك الطائرة قطعت أفكارها ..

طائرة أنيقة ، لامعة ، عبرت فوق القصر مباشرة ، و دارت دورة

واسعة ، ثم انقضت على الحديقة

الخلفية للقصر ، و هبطت فوق مهبط

طائرات طويل ، يرتسم في أناقة

وسط الحديقة الفناء ..

وهتفت ( وفاء ) :

— هل تهبط الطائرة هنا ؟

تراجع ( فتحى ) ، و ابتسم في

زهو ، وهو يقول :

— بالطبع .. إننى أمتلكها .

صاحت مبهورة :



— تمتلك طائرة خاصة !؟

ضحك في سعادة ، وهو يقول :

— بالطبع .. إنها أبسط شيء ، يمكن أن يمتلكه مليونير هنا .. إنها

طائرة ذات أربعة مقاعد ..

تطلعت إلى الطائرة في انبهار ، وهي تقول :

— كم أتمنى ركوب طائرة مثلها .

رفع حاجبيه ، قائلاً :

— تمنين !؟

ثم نهض من مقعده ، واستطرد مبتسماً :

— ولِمَ لا نحول الحلم إلى حقيقة ؟

هتفت :

— ماذا تعنى ؟

أجابها ملوِّحاً بكفه :

— أعنى أنني أدعوك لتحقيق أمنيتك ، والقيام برحلة على متن طائرتي

الخاصة .

لم تصدق أذنيها ..

إنها ستحقق أمنية من أمنيات حياتها ..

ولكن من يدري ، ما الذي يخفيه القدر ، خلف هذه الأمنية ؟ ..

من يدري ؟ ..

\* \* \*

## ٢ — الرحلة ..

هبط قائد طائرة ( فتحى ) الخاصة ، من كابينة القيادة الصغيرة ، وشد قامته المديدة ، وكفيه العريضين ، وربت على جسم الطائرة في رفق وحنان ، وداعب مروحتها اليسرى ، وكأنه يطمئن على سلامتها ، قبل أن يسمع صوت ( فتحى ) من خلفه ، وهو يهتف :

— استعد للإقلاع يا فتى .

التفت قائد الطائرة إلى ( فتحى ) ، وانعقد حاجباه قليلاً ، وهو يتفحص ( وفاء ) في حيرة ، قبل أن تقترب منه مع ( فتحى ) ، الذى أشار إليه ، وهو يقول لها :

— أقدم لك ( صبرى ) .. الطيار الخاص لى .

رفعت حاجبيها ، هاتفة :

— ( صبرى ) .. أنت مصرى ؟

أجابها ( صبرى ) .. فى اقضاب :

— لى كل الفخر .

أما ( فتحى ) ، فقال لى زهو :

— نعم .. إنه مصرى .. لقد كان طياراً مدنياً ، فى شركة ( مصر )

للطيران ، ولكننى أقعته بالاستقالة ، والعمل لحسابى .. أليس كذلك

يا ( صبرى ) ؟

دُد ( صبرى ) بنفس الاقضاب :

— بلى يا سيد ( فتحى ) .

شعرت ( وفاء ) بنبرة عجيبة فى صوت ( صبرى ) ، وكأنما لا يروق له العمل لحساب ( فتحى ) ، فتطلعت فى حيرة إلى ملاح ( صبرى ) الجامدة ، فى حين قال له ( فتحى ) :

— أتعثم أن يكون لديك وقود كاف ، فالذكورة ( وفاء ) ترغب فى القيام برحلة فى طائرتك .

أجابه ( صبرى ) :

— لدينا وقود كاف ، ووقود احتياطى كذلك ، ولكن النشرة الجوية أعلنت عن قرب وقوع عاصفة ، و ..

قاطعها ( فتحى ) فى صرامة :

— سنعود قبل العاصفة .

بدت ملاح ( صبرى ) جامدة بعض الشيء ، ولكن ( وفاء ) قرأت الضيق فى عينيه ، فغمغمت :

— لا بأس .. يمكننا أن نؤجل هذا ، و ..

قاطعها ( فتحى ) فى حزم :

— بل سنذهب الآن .

وعاونها على الصعود إلى الطائرة ، وهو يضيف :

— هيا يا ( صبرى ) .

صعد ( صبرى ) إلى كابينة القيادة دون مناقشة ، وانتظر حتى استقر ( فتحى ) و ( وفاء ) فى مقعديهما ، ثم أدار محرك الطائرة ، وانطلق بها فوق ممر الإقلاع ..

وحلقت الطائرة ..

حلقت فى نعومة وبساطة ، تؤكدان براعة ( صبرى ) وخبرته ، فقالت ( وفاء ) فى إعجاب :

— لديك طيار رائع .

ابتسم ( فتحى ) فى زهو ، وقال :

— إننى أحسن اختيار من يعملون لحسابى .

لم يرق ذلك الأسلوب المغرور لـ ( وفاء ) ، فأشاحت بوجهها ، وتطلعت من النافذة إلى قصر ( فتحى ) ، الذى راح يتعد ويتعد فى سرعة ، ثم لم تلبث ( نيويورك ) كلها أن اختفت خلف المحيط ، فتمت ( وفاء ) :

— لقد ابتعدنا كثيرًا .

أجابه ( فتحى ) فى ثقة :

— لا تجعلى هذا يقلقك .. ( صبرى ) أفضل طيار فى ( نيويورك ) كلها .

تمم ( صبرى ) ، الذى لا يفصله عنهما سوى حاجز قصير :

— مادمت تؤمن بهذا يا سيد ( فتحى ) ، فأنا أقترح أن نبدأ رحلة العودة ؛ إذ أن السحب الداكنة تتكاثف فى الأفق ، وأظن العاصفة فى طريقها إلينا .

قال ( فتحى ) فى صرامة :

— سنقضى وقت طويل ، قبل أن تصل إلينا .

أجابه ( صبرى ) فى ضيق :

— العواصف خادعة .. كل الطيارين ورجال البحر يعرفون هذا . قال ( فتحى ) فى خشونة :



— أنا أيضا أعرفه ، وأمرك بالاستمرار في الطيران .  
استمعت ( وفاء ) إلى تلك المخادثة في قلق ، وامتد بصرها يخترق زجاج  
الطائرة الأمامي ، ويتطلع في خوف إلى السحب الداكنة ، التي حجبت  
الأفق تقريبا ، وقالت :

— أظن أنه من الأفضل أن نعود ، وأن ..

قبل أن تتم عبارتها ، سطع البرق فجأة في السماء ، ثم انهمرت الأمطار  
الغزيرة ، وكان صنابير السماء قد انفتحت كلها في آن واحد ..  
وفي لحظات قصيرة ، كانت السحب الداكنة تغطي السماء كلها ،  
والأمطار تنال على جسم الطائرة ، وترتطم به في ضربات متتالية  
متلاحقة ، أشبه بطلقات مدفع رشاش قوى ، والبرق يلمع في السماء ،  
ويضيء المكان على نحو مخيف ، فقال ( فتحى ) في توتر :

— نعم .. أظن أنه من الأفضل أن نعود .. عد بنا يا ( صبرى ) .

استدار ( صبرى ) بالطائرة ، وهو يراقب عداداتها في قلق ، وزاد من  
سرعتها ، في طريقه إلى ( نيويورك ) ، وسط عاصفة عاتية ..

وبدأ قلب ( وفاء ) يخفق في توتر ..

هذا الطقس المحيط بها ، كان يملأ نفسها بالخوف ..

بل بالرعب ..

وهي تتمنى الآن العودة إلى قصر ( فتحى ) ..

أو حتى إلى أى مكان يابس ..

أو ..

قطعت أفكارها تلك الصاعقة ..

صاعقة شقت طريقها بين السحب الداكنة ، وانقضت على الطائرة ..  
وارتجعت الطائرة في عنف ، واختل توازنها ، وانطلقت صرخة  
( وفاء ) داخلها مدوية ، وهي تدور حول نفسها في سرعة ..

وامتقع وجه ( فتحى ) ، وتجمدت الكلمات في حلقه ، واتسعت  
عيناه في رعب ، في حين عقد ( صبرى ) حاجبيه في شدة ، وراح يبذل  
أقصى جهده وخبرته ومرارته ، ليستعيد سيطرته على الطائرة ، ومنعها من  
السقوط في المحيط ..

ومضت دقائق أشبه بدهر كامل ، والطائرة تهوى ، وتدور حول  
نفسها ، و ( وفاء ) تصرخ ، وتصرخ ، وتصرخ ..

ثم استعاد ( صبرى ) سيطرته على الطائرة ..

كان من الواضح أنه قد بذل مجهودا خرافيا ، حتى اتزنت الطائرة  
الصغيرة ، وراحت تقاوم العاصفة مرة أخرى ، في شيء من الثبات ، فقد  
تصبب عرق غزير على وجه الطيار ، وتصاعد صوت أنفاسه كثيرا ،  
وهتف به ( فتحى ) :

— هل نجونا ؟

أجابته ( صبرى ) في قلق واضح :

— لست أدري .. لقد استعدنا سيطرتنا على الطائرة فحسب .

سألته ( وفاء ) في هلع :

— ألا يكفى هذا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— لقد أفسدت الصاعقة التوازن الكهربى للطائرة ، وأحدثت خللا

بالوصلة ، كما أن جهاز الاتصال اللاسلكى لم يعد صالحا للعمل .

سألته ، وهى تكاد تفقد وعيها رعبًا :

— وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابها وكأنما يخنقه السؤال :

— يعنى أننا لا ندرى أين ينبغي أن نتجه ، حتى نعود إلى ( نيويورك ) ، وأن أماننا نصف الساعة فقط ، قبل أن ينفد وقودنا ، ونهوى ..

ثم انعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

— ويتلعنا المحيط .

وهوى قلب ( وفاء ) بين ضلوعها ..

\*\*\*

مضى نصف الساعة بأسرع مما تصوّر الجميع ، ولم تظهر ( نيويورك ) حتى فى الأفق ، وانهارت أعصاب ( وفاء ) تمامًا ، وهى تتصوّر غرق الطائرة بها فى قلب المحيط ، فى حين راح ( فتحى ) يصرخ فى عصبية وارتياح :

— أين ( نيويورك ) .. أين هى يا ( صبرى ) ؟ .. ما الذى فعلته

بنا ؟



كان ( صبرى ) يقاتل للانطلاق وسط العاصفة ، وهو يجيب فى حدة :  
— لست أدري أين نتجه بالضبط .. أخشى أننا نتوغل منذ نصف الساعة ، فى قلب المحيط ، بدلًا من أن نعود إلى ( نيويورك ) .

صرخ ( فتحى ) :

— نفعل ماذا ؟ .. إذن فقد قتلنا أيها الفاشل .. قتلنا أيها الحقير .

صاح به ( صبرى ) فى صرامة :

— اصمت أيها الجبان السخيف .. لن أحتمل غطرستك لحظة واحدة بعد الآن .

صرخ به ( فتحى ) :

— ماذا تقول ؟! .. إننى أنا الذى ينقذك أجرك .

هتف ( صبرى ) فى غضب :

— فلتذهب أنت وأجرك إلى الجحيم .. لقد سئمت كل هذا .

وفجأة أصدر محرك الطائرة قرقرة مخيفة ، ثم صمت تمامًا ، فأضاف  
( صبرى ) فى توتر :

— أظنك ستذهب إلى الجحيم ، بأسرع مما تتصور .

شحب وجه ( فتحى ) فى شدة ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ،  
وتشبَّث بمقعده فى رعب هائل ، فى حين هتفت ( وفاء ) فى ارتباغ :

— أيعنى هذا أننا .. أننا سنسقط ؟

أجابها ، وهو يمسك عجلة القيادة فى قوة :

— بل يعنى أن الذى يجيد السباحة فقط ، هو الذى سينجو من هذا  
الموقف .. لو كان حظه أفضل من إله الحظ نفسه .

بكى ( فتحى ) فى انهار ، وهو يقول :

— لست أعرف السباحة .

تطلعت إليه ( وفاء ) فى هلع ، ثم رفعت بصرها إلى نافذة الطائرة ،  
حيث أظلمت السماء ، ولم يتوقف انهمار الأمطار منها ، وانهار فى قلبها كل  
أمل فى الخلاص والنجاة ..

و ( صبرى ) أيضًا شعر باليأس ..

إنه — كطيار محترف — يدرك تمامًا استحالة النجاة ، من مثل هذا  
الموقف ..

طائرة خالية من الوقود ، وسط عاصفة عاتية ، وأمطار غزيرة ، و ..  
وفجأة انعقد حاجباه ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

مستحيل أن يكون هذا الذى أمامه حقيقة !! ..

مستحيل !!

إنه يهذى ولا شك ! ..

وفى ذهول ردَّد :

— مستحيل !

سألته ( وفاء ) :

— ماذا حدث ؟

أشار أمامه ، قائلاً :

— أترين هذا ؟

انتزعت نفسها من مقعدها ، ومالت إلى الأمام ، تتطلع إلى حيث  
يشير ، ثم اتسعت عينها فى ذهول ..

كان أمامها ، وعلى بعد كيلو مترين تقريبًا ، صفان من الأضواء  
المتوازية ، يظهران وسط الظلام ، ويمتدان إلى مسافة مناسبة ..

وفى دهشة ، سألت ( وفاء ) :

— ما هذا ؟

أيقن أنها ترى ما رآه ، فأجابها والحيرة تقطر مع حروف كلماته :

— إنه مهبط طائرات .

أنعشت العبارة الأمل ، فى نفس ( فتحى ) ، فهتفت :

— مهبط طائرات؟! .. هل يمكنك بلوغه يا ( صبرى ) ؟ .. هل

يمكنك هذا ؟

تشبَّث ( صبرى ) بعجلة القيادة ، وهو يقول :

— نعم .. يمكننى قيادة الطائرة وكأنها طائرة شراعية بلا محرك .

وأظننا نستطيع بلوغ ذلك المهبط بإذن الله ( سبحانه وتعالى ) .

ترك ( فتحى ) مقعده ، وصاح به :

— ماذا تنتظر إذن أيها الغبي ؟ .. هيا .. اتجه إليه .. هيا ..

كظم ( صبرى ) غيظه وغضبه ، وركّز مشاعره كلها فى بلوغ ذلك المهبط العجيب ، الذى لاح له على نحو أشبه بالمعجزة ، وسط المحيط ، وهو يسأل نفسه عن سر وجوده ..

وانزلت الطائرة ، وسط الرياح والأمطار ، متجهة إلى ذلك المهبط ..

ثم اتضحت ملامح الجزيرة الصغيرة تدريجيًا ..

جزيرة محدودة ، يمتد وسطها ذلك المهبط الجوى العجيب ..

وهبطت الطائرة وسط صفى الأضواء ، واصطدمت إطاراتها بالأرض غير الممهّدة فى عنف ، وانكسر إطارها الأيمن ، فانحنت فى شدة ، واصطدم جناحها بالأرض ، فتحطم فى قوة واحتك باطن الطائرة بأرض الجزيرة ، فى صرير مزعج مخيف ، اختلط بصراخ ( وفاء ) ، وشهقات ( فتحى ) ..

ثم توقفت الطائرة ..

ولثوان ساد داخلها سكون وصمت رهيبين ، يوحيان بأن ركابها الثلاثة قد لقوا حتفهم مع السقوط ، قبل أن يرتفع صوت ( وفاء ) ، وهى تقول فى عصبية :

— هل نجونا ؟

أجابها صوت ( صبرى ) :

— أظن ذلك .

وهنا انطلق صوت ( فتحى ) ، وهو يقهقه ضاحكًا ، ويهتف :

— نجونا .. لقد نجونا .

كان يضحك على نحو هستيرى ، ولكن ( صبرى ) تجاهله تمامًا ، وهو يغادر الطائرة ، قائلاً :

— ترى كيف يوجد مهبط مثالى كهذا ، وسط جزيرة صغيرة كهذه ؟

اتجه نحو أحد المصاييح ، الممتدة على جانبي الطائرة ، ورفع يده يفحصه . قبل أن يقول فى دهشة بالغة :

— عجبًا ! .. إنه أبسط مصباح رأيت فى حياتى .. كرة من الزجاج .

بداخلها شمعة بدائية .. ياله من مهبط طائرات عجيب !

لحقت به ( وفاء ) ، وهى تسأله :

— ولكن كيف أتى إلى هنا ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال :

— بل قولى من صنعه ؟ ولماذا ؟

انفض جسد ( وفاء ) فى ذعر ، عندما انبعث من خلفها صوت

يقول :

— أنا .

كان الصوت هادئًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا فقد التفت مع

( صبرى ) إلى مصدره فى سرعة ، ووقع بصرهما على شيخ أصلع . له ملامح

أشبه برهبان التبت ، ويرتدى ثوبًا مائلًا لثيابهم ، ولقد انحنى أمامهما فى

احترام ، وهو يستطرد بالعربية :

— أنا صنعت هذا ، وكنت أنتظركم .

ردد ( صبرى ) فى دهشة :

— تنتظرنا !؟

أجابه الشيخ فى احترام وهدوء :

— نعم .. أنتظر قدوم طائرتكم ، مع رفيقكم الثالث ، الذى لم

يفادرها بعد .

ثم التفت إلى الطائرة ، مستطرذا :

— المليونير ( فتحى قرمان ) .

وسطع البرق فى نفس اللحظة ، ليكمل الصورة ..

صورة الخوف ..

والغموض .

\* \* \*

### ٣ — الشيخ ..

اتسعت عينا ( فتحى ) ، وسقط فكه السفلى فى ذهول ، وهو يحذق فى وجه الشيخ الأصلع ، قبل أن يهتف به فى عصبية :

— ماذا تقول أيا المأفون ؟ .. إننى لم أرك فى حياى قط ، ولم ألتق بك

أبدا ، فكيف تدعى معرفتك إياى !؟

ظلت ابتسامة الشيخ تزين وجهه ، وهو يقول فى هدوء :

— أنا أيضا لم ألتق بك يا سيدى ، ولم أر أحدا كم أبدا ، ولكننى أعرفكم

تماما ، وكنت أعلم أنكم ستأتون الليلة ، وأعددت كل شىء لاستقبالكم .

تطلعت ( وفاء ) إلى وجه الشيخ فى دهشة وحيرة ، فى حين سأله

( صبرى ) فى توتر :

— أنت ساحر يا رجل ؟

هز الشيخ رأسه ، وقال بابتسامته الهادئة :

— بل أنا مجرد حارس يا سيد ( صبرى ) .. حارس الجزيرة .

رفع ( صبرى ) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

— أتعرف إسمى ؟

انحنى الشيخ أمامه ، وهو يقول :

— إننى أعرف الكثير ياسيدى .

ثم أشار إلى كوخ قريب ، بدا فى صعوبة وسط الظلام ، وهو يقول :

— والآن هلا تبعمونى إلى كوخى المتواضع ؟

تبعه الثلاثة في حيرة وحذر إلى الكوخ ، وهناك أضاء الشيخ مصباحه ، وأشار إلى مائدة خشبية قديمة ، اصطفت فوقها ثلاثة أطباق من الحساء ، ما زالت الأبخرة تتصاعد منها ، وقال :

— كنت أخشى أن يبرد الحساء .

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة ، ولكن رائحة الحساء الشهى دغدغت الجوع الكامن في أمعائهم ، والذي أوجدته الإثارة وأنجبه التوتر ، فاتجهوا إلى المائدة ، واصطفوا حولها ، وارتشفت ( وفاء ) رشفة من الحساء ، قبل أن تقول في دهشة :

— إنه ساخن بالفعل .

وعقد ( صبرى ) حاجبيه ، قائلاً :

— وهناك ثلاثة أطباق .

أما ( فتحى ) ، فقد تذوّق الحساء في حذر ، ثم قال :

— لا بأس به على الإطلاق .

وبعد ما راح يحتسيه في نهم ، وكذلك فعل ( صبرى ) و ( وفاء ) ، في حين جلس الشيخ القرفصاء ، فوق أريكة خشبية قريبة ، وراح يتابعهم بابتسامته الهادئة ، حتى انتهوا من تناول الحساء كله ، فقال الشيخ :

— لقد أعددت لكم ثلاثة أسرة .. اثنان في الحجرة الشرقية ، وواحد

للدكتورة ( وفاء ) ، في الحجرة الغربية .

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة مرة أخرى ، وسألت ( وفاء ) الشيخ :



— هل كنت تعلم أننا رجلان وامرأة ؟

أجابها في هدوء :

— بالطبع .

سأله ( فتحى ) في حدة :

— كيف تعرف كل هذا ؟

أجابه بهدوئه المثير :

— إنه تاريخ الجزيرة ، وأنا

أحفظه عن ظهر قلب يا سيدي .

ردّد ( فتحى ) في دهشة :

— تاريخ ؟

سطع البرق مرة أخرى ، وألقى ضوءه على وجه الشيخ ، فارتجفت

( وفاء ) في رهبة ، وقالت في انفعال :

— متى تنتهى هذه العاصفة اللعينة ؟

أناها الجواب على لسان الشيخ في هدوء ، وهو يقول :

— في الساعة إلا الربع يا بنتى .. ستوقف فجأة ، كما بدأت .

كان هذا الجواب مذهلاً بحق ، ودفع الثلاثة إلى التطلع لساعات

معاصمهم ، قبل أن يقول ( صبرى ) :

— إنها السادسة وخمس وعشرون دقيقة الآن .

وهنا هتف ( فتحى ) في توتر :

— كل هذا لا يعينى .. أريد العودة إلى ( نيويورك ) ، وبأقصى سرعة .

أطرق الشيخ برأسه ، وقال في لهجة ملؤها الأسف :  
— من المؤسف أن هذا لن يحدث .

عقد ( فتحى ) حاجيه ، وهو يهتف بالشيخ :

— ماذا ؟ .. وما الذى يدعوك إلى هذا القول أيها المخرف ؟

رفع الشيخ وجهه إليه ، وأجاب :

— قدرك يقول هذا يا سيد ( فتحى ) .

هتف ( فتحى ) مستكراً :

— قدرى !؟

ثم تراجع بمقعده ، وأضاف في حدة :

— آه .. الآن فقط فهمت اللعبة .

تطلع إليه الشيخ في صمت ، في حين ردّدت ( وفاء ) :

— اللعبة !؟

صاح ( فتحى ) في غضب :

— نعم .. اللعبة القذرة .

والتفت في سرعة إلى ( صبرى ) ، مستطرذاً :

— لعبتك .

قفز الغضب إلى وجه ( صبرى ) ، وهو يهتف :

— أنا !؟

قفز ( فتحى ) من مقعده ، وراح يصرخ ، وهو يلوح بسبابته في وجه

( صبرى ) :

— نعم .. لعبتك الحقيرة السخيفة .. إنك تحاول إبعادى عن

( نيويورك ) ؛ لتفسد صفقتى الأخيرة هناك .. كم دفع لك منافسى

( دالتون ) ، من أجل هذا ؟

هَبَّ ( صبرى ) من مقعده ، وهو يقول في غضب :

— اسمع يا سيد ( فتحى ) .. لقد احتملت سخافاتك كثيراً ، طوال

عام كامل ، ولكنك تجاوزت حدودك حقاً هذه المرة ، ولن أسمح لك

بهذا ، وليذهب عمالك وقصرك كله إلى الجحيم .

صرخ ( فتحى ) :

— لا .. لن تخدعنى بغضبك المصطنع هذا .. إننى أفهم كل شيء ..

رحلة بالطائرة ، ثم تتظاهر بتلف البوصلة ، وتقودنا إلى هذه الجزيرة

الصغيرة ، التى يملكها ( دالتون ) حتماً ، حيث يستقبلنا ذلك الشيخ

المهرج ، ويحاول خداعنا ، بالمعلومات التى منحه إياها ( دالتون )

مسبقاً ، ليقنعنى أننى لن أعود أبداً إلى ( نيويورك ) ، فأستسلم لهذا ،

ويريح ( دالتون ) الصفقة ، وبعدها تنكشف الحقيقة ، و ..

قاطعته ( صبرى ) في غضب :

— وهل نسيت أنك أنت التى اقترحت فكرة رحلة الطائرة هذه ؟

لُوح ( فتحى ) بكفه ، هاتفاً :

— اقترحتها من أجل الذكورة ( وفاء ) .

ثم التفت إلى ( وفاء ) ، وتابع :

— آه : لقد فهمت الآن .. أنت أيضاً تعملين لحساب ( دالتون )

اللعين .

انعقد حاجباها في غضب ، وصاحت به :

اضبط لسانك يا ( فتحى ) ، ولا تنس أنك أنت الذى سعى لمقابلتى .  
صرخ ( فتحى ) :

— وماذا فى ذلك ؟ .. لا ريب أن ( دالتون ) علم بأمر توجهى  
لحضور مؤتمر الكمبيوتر ، وجمع الكثير من المعلومات عن المؤتمر ، حتى  
عرف بزمايلى لك فى الكلية ، وبعدها وضع خطته .

صاحت به ( وفاء ) فى غضب :

— أنت رجل مريض .

أما ( صبرى ) ، فأمسك بكتفيه فى عنف ، وقال :

— وماذا عن الصاعقة ، التى أصابت الطائرة ؟ .. أهى من صنع

( دالتون ) أيضا ؟

زاغت نظرات ( فتحى ) ، وهو يقول :

— مجرد مصادفة .. كنت ستبتكر حجة أخرى ، لو لم تسقط الصاعقة

على الطائرة .

قال ( صبرى ) فى غضب :

— صدقت الدكتوراة ( وفاء ) .. أنت رجل مريض .

صرخ ( فتحى ) ، وهو يحرك ذراعيه فى عنف :

— بل أنا رجل ذكى ، كشف خدعتكم ، على الرغم من براعتها ،

وكشف أمركم ، و ..

قاطعته ( وفاء ) فى حزم :

— ولكنك نسيت نقطة واحدة أيها الذكى .. إنها السابعة إلا الربع

تماما الآن .

ثم أشارت عبر النافذة ، مستطردة :

— ولقد توقفت العاصفة ..

\*\*\*

لم يكن من العجيب ، بعد كل هذا ، أن أحدهم لم يذق للنوم طعاما ،  
فى هذه الليلة ، بل إن أحدهم لم يأو إلى فراشه ، وإنما ظلوا حول مائدة  
الطعام ، لا يتبادلون كلمة واحدة ، حتى تطلع ( صبرى ) إلى ساعته ،  
وغمغم :

— إنها منتصف الليل تماما .

تلقت ( وفاء ) حولها ، وقالت :

— أين الشيخ ؟ .. أين ذهب ؟

أجابها ( صبرى ) فى خفوت :

— لقد انصرف بعد توقف العاصفة ، ولست أدرى أين ذهب .

سألته ( وفاء ) :

— ألدريك تفسر لكل هذا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— لا .. لست أفهم حتى ما يحدث هنا .. كيف عرف هذا الشيخ كل

ما يعرف ؟ وما الذى يقصده بأن هذا قدرنا ؟

قالت فى حيرة وتوتر :

— كل شىء هنا يبدو عجيبا ، ومخيفا ، ولا يوجد لدينا أى تفسير .

رفع ( فتحى ) عينيه ، وقال فى سرارة :



— أنا لددى تفسير .

سألته فى لطفة :

— ماهو ؟

بدت عيناه حمراوين كالدم ، زانغتين فى ارتياح ، وهو يجيبها :

— التفسير الوحيد لكل هذا ، هو أننا لم نعد على قيد الحياة .

وخفض عينيه مرة أخرى ، مستطرذا :

— لقد متا .

هتف ( صبرى ) فى استهجان :

— متا ؟! .. أى قول أحق هذا ؟

هز ( فتحى ) رأسه ، وقال :

— لو أنك تمعنت فى هذا القول ، لوجدته أعقل مما تتصور .. ألم تسمع

عن ( البرزخ ) ؟ .. تلك المرحلة التى تمر بها الروح ، ما بين الحياة

والموت .. لقد متا جميعا فى حادث الطائرة ، ونحن الآن فى ( البرزخ ) ،

نستعد لمغادرة الحياة التى نعرفها .

سرت ارتجافة فى جسد ( وفاء ) ، مع هذا التصور ، فى حين انعقد

حاجبا ( صبرى ) فى شدة ، وهو يحدق فى وجه ( فتحى ) ، قبل أن يقول

فى استكثار :

— كلاً .. إنه تصور سخيف .

رفع ( فتحى ) رأسه إليه فى مرارة ، وهو يقول :

— حاول أن ..

قاطعته ( صبرى ) فى حدة :

— لن أحاول شيئاً ، ولن تقنعنى نظريتك أبداً .. إننا نجلس هنا ، فى

كوخ حقير ، فوق جزيرة صغيرة فى قلب المحيط ، وأنا أشعر بالبرد والقلق

والتوتر ، وكل هذه عوامل دنيوية بشرية ، يشعر بها الجسد ، ولا تشعر بها

الروح .. إننا أحياء ياسيد ( فتحى ) .. ربما كان الغموض يحيط بنا ،

ولكننا أحياء .. هل تفهم ؟

ثم هب من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وراح يتطلع عبرها إلى الطائرة

المخبطة على الشاطئ ، قبل أن يضيف فى عصبية :

— وكل ما يمكننى فعله ، هو أن أبذل أقصى جهدى ، لنفادر هذه

الجزيرة الغامضة ، ونعود إلى ( نيويورك ) ، وإذا ما كتب لنا هذا ،

فسيكون أول ما أفعله هو أن أتقدم إليك باستقالة ، وأستقل أول طائرة ،

عائداً إلى ( القاهرة ) .

غمغمت ( وفاء ) :

— حسناً تفعل .

رفع ( فتحى ) عينيه إليه ، وقال فى لهجة أقرب إلى البكاء :

— ومن قال إنك ستجد الوقت لهذا .

قال ( صبرى ) فى صرامة :

— المهم أن نحاول .

هز ( فتحى ) رأسه نفياً ، وقال :

— خطأ يا رجل .. يبدو أنك قد نسيت ما قاله ذلك الشيخ ، الذى

يعرف كل شيء .. إننا لن نعود إلى ( نيويورك ) أبداً .

وانحدرت من عينيه دمعة قهر ومرارة ، قبل أن يستطرد :

— إنه قدرنا ..

— لو كانت هناك الأدوات اللازمة .  
شعرت بالأسف لهذا الموقف ، ولكنها تجاهلت هذا الشعور ، أو  
حاولت ذلك ، وهي تدير عينيها في الجزيرة ، قائلة :  
— أظن أسوأ ما يمكن أن يحدث ، هو أن نضطر للبقاء في هذه الجزيرة  
طويلاً .

أجابها ، وهو يحاول دفع الإطار المحطم جانباً :  
— بل أسوأ ما يمكن أن يحدث ، هو أن أحيانا أنا و ( فتحى ) في مكان  
محدود كهذا .

ابتسمت قائلة :

— أتبغضه إلى هذا الحد ؟

عقد حاجبيه ، وهو يجيب :

— بل أبغض هذا الوضع ، الذي تسبب في وجودي فيه .  
سألته :

— أتقصد وجودنا هنا ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال :

— بل استقالتى من شركة الطيران ، وعملى لحسابه .

تطلعت إليه لحظة ، وقالت :

— لا تنس أنك فعلت هذا بمحض إرادتك .

مطً شفثيه ، وقال :

— وهذا ما يزيد من إحساسى بالمرارة .

نحت الشيخ يأتي من بعيد ، حاملاً صندوقاً متوسط الحجم ، فقالت :

## ٤ — الجزيرة ..

لم تدر الدكتورة ( وفاء ) متى وكيف استسلمت للنوم ، بعد كل هذه  
الأحداث ، ولكنها استيقظت في الصباح التالي ، لتجد نفسها راقدة في  
ذلك الفراش البدائى ، انذى صنعه لها الشيخ ، فنهضت منه ، وهي تشعر  
بالإرهاق والتعب ، وكأنها لم تذوق طعم النوم قط ، وتساءبت وهي تغمغم :  
— كان ( صبرى ) على حق .. إننا على قيد الحياة .

ارتدت ثوبها ، وغادرت الكوخ ، ولاحظت الشمس المشرقة ،  
والسمااء الصافية ، التى خلت من أدنى أثر لغاصفة البارحة ، ثم تطلعت إلى  
الشاطى . ووقع بصرها على ( صبرى ) ، الذى وقف إلى جوار الطائرة  
عارى الصدر ، حافى القدمين ، يفحص جناحها المكسور وإطارها  
المحطم ، فاتجهت إليه فى خطوات متمهلة ، وقالت :

— صباح الخير .

ألقي نظرة سريعة عليها ، ثم عاد إلى فحص الطائرة ، متممًا :

— صباح الخير يا سيدتى .

سألته فى اهتمام :

— أهنك أمل فى إصلاحها ؟

أجاب فى القضااب :

— كل شىء يمكن إصلاحه .

واعتمدل مستطرذا فى حنق :

— ها هوذا شيخنا الغامض .

اعتدل يتطلع إلى الشيخ ، الذي اقترب منهما في بطاء ، ثم وضع الصندوق أمام ( صبرى ) ، قائلاً :

— ها هي ذى الأدوات كلها .

حدق ( صبرى ) و ( وفاء ) في وجهه بذهول ، قبل أن يسأله الأول في حدة :

— أية أدوات ؟

أجابه في هدوء :

— الأدوات اللازمة لإصلاح الطائرة .

حدق ( صبرى ) في وجهه مرة أخرى في ذهول ، ثم انحنى يفحص الصندوق ومحتوياته ، قبل أن يعتدل قائلاً في توتر :

— كل ما أحاجه بالفعل ، دون قطعة واحدة زائدة .

لم تتمالك ( وفاء ) نفسها ، فسألت الشيخ في دهشة :

— هل تعرف شيئاً عن إصلاح الطائرات ؟

هز الشيخ رأسه نفيًا ، وحمل وجهه ابتسامته الهادئة ، وهو يجيب :

— مطلقاً يا سيدي .. إننى حتى لم أشاهد طائرة واحدة في عمري

كله .

كادت تسأله كيف عرف المطلوب ، لإصلاح الطائرة ، ولكن

( صبرى ) سبقها بسؤاله ، قائلاً :

— كيف أتيت إلى هنا إذن ؟

أجابه في هدوء :

— إننا أسرة عريقة ، نتوارث حراسة الجزيرة المقدسة ، وكل منا يصل إليها بزورق من صنع الأسرة ، في نفس يوم وفاة الحارس السابق له .

برقت عينا ( صبرى ) ، وأمسك كنفى الشيخ في قوة ، هاتفاً :

— اذن فأنتم تمتلكون وسيلة اتصال بالعالم الخارجى .. أين هي يا رجل ؟ .. أخبرنى بالله عليك .

أزاح الشيخ يديه في رفق ، وهو يقول :

— إننا لا نملك أية وسيلة للاتصال يا ولدى ، ولكن كل منا يعرف

موعد وفاة سابقه بالتحديد .

هتف به في حدة :

— كيف ؟

أجابه الشيخ في بساطة :

— إنه تاريخ .. أعنى إنه القدر .

زفر ( صبرى ) في توتر ، ولوح بذراعه ، قائلاً :

— لن أحاول الفهم .. لقد ينست .

وعاد يفحص الطائرة في اهتمام ، في حين التفتت ( وفاء ) إلى الشيخ ،

وسأله في اهتمام بالغ :

— كيف تعرف كل هذا ؟

هز رأسه في وقار ، وقال :

— لا يمكننى أن أخبرك يا سيدي .

سأله في انفعال :

— ولماذا لا يمكنك هذا ؟

أجابها في هدوء :

— لأنه من المحذور التدخل في التاريخ

تراجعت في حدة ، هاتفة :

— التاريخ ؟!

قفز إلى ذهنها فجأة خاطر خرافي أفزعها ، فحدقت في وجه الشيخ في تردّد ، وهمت بإلقاء سؤال ما عليه ، لولا أن ارتفع صوت ( فتحى ) ، وهو يهتف :

— أين طعام الإفطار ؟ .. إننى جائع .. أين ذلك الشيخ المأفون ؟ توقّعت ( وفاء ) أن يغضب الشيخ ، إلا أنه ظلّ محتفظاً بابتسامته ، وهو يقول :

— معذرة ياسيدتى .. سأعد طعام الإفطار على الفور .

استدار لينصرف ، ولكنها أمسكت ذراعه في حزم ، واستوقفته لتسأله :

— أخبرنى أيها الشيخ .. ما اسمك ؟

انحنى أمامها ، وأجاب :

— عبدك المتواضع ( فانج ) يا سيدتى .

سأكنه في توتر :

— كيف تتحدّث العربية يا ( فانج ) ؟

أجابها بابتسامته ، التى أصبحت تثير أعصابها :

— لقد تعلّمتها لاستقبالكم يا سيدتى .

كان هذا الجواب يفزعها ، فألقت عليه ذلك السؤال ، الذى يحتم على صدرها :

— أنت من المستقبل ؟

ارتفع حاجبا الشيخ في دهشة ، ثم عاد يتسم قائلا :

— من المستقبل ؟! .. كلاً بالطبع يا سيدتى .. لست من المستقبل ..

من أوحى إليك بهذا الخاطر العجيب ؟

صاح ( فتحى ) فى تلك اللحظة :

— الطعام .

وهنا انحنى ( فانج ) أمامها مرة أخرى ، وقال :

— معذرة يا سيدتى .. إننى مضطر للانصراف .

تطلّعت إليه فى حيرة وهو ينصرف ، وسمعت من خلفها صوتاً ساخراً ،

يقول :

— من المستقبل ؟! .. يالها من فكرة !

التفتت فى حدة إلى ( صبرى ) ، وقالت :

— ألدك تفسير آخر ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

— ربما كان مجرد قارى للغيب .

قالت فى حدة :

— ربما .. ولكن هذا أيضا خاطر عجيب .

أجابها ، وهو يستخدم الأدوات ، التى أحضرها ( فانج ) ، لإصلاح

الإطار :

— فليكن .. لا هذا ولا ذاك يعينانى .. كل ما يهمنى الآن هو أن هذه

الأدوات ستساعدنى — بإذن الله — على إصلاح الطائرة ، خلال يوم

واحد على الأرجح ، وبعدها يمكننا مغادرة هذه الجزيرة اللعينة .  
سألته :

— وماذا عن الوقود ؟

أجابها ، وهو منهمك في إصلاح الإطار :

— لدينا وقود احتياطي ، يكفي لساعتى طيران .

سألته في دهشة :

— لماذا لم تستخدمه إذن ، عندما نفذ وقود الطائرة ؟

التفت إليها في سخرية ، قائلاً :

— وكيف كنت تقترحين وضعه في خزان الوقود ، ونحن نظير ؟

عقدت حاجبيها في غضب ، وأجابت :

— بثقب أرضية الطائرة إلى الخزان أيها الذكي .

رأت الدهشة على وجهه ، ولكنها أشاحت بوجهها في كبرياء .

وانتهت نحو الكوخ ، وأحرقها أن هتف خلفها في سخرية :



— لا تنسى استدعائي ، عندما ينتهى إعداد طعام الإفطار ياخبيرة الكمبيوتر .

وأعقب هذا بقهقهة عالية ، جعلتها تهتف محنقة :

— أيها الوغد .

وواصلت طريقها إلى الكوخ ، وهناك وجدت ( فتحى ) يقول

لـ ( فانج ) في خبث :

— حسناً .. فلنجعلها ثلاثة ملايين .. ما رأيك ؟

هز الشيخ رأسه نفيًا ، وهو يتسم قائلاً :

— أؤكد لك يا سيد ( فتحى ) ، أننى لا أملك أية وسيلة ، سرية أو

علنية ، لمغادرة الجزيرة ، فكل منا يحطّم زورقه فور وصوله .

تدخلت ( وفاء ) ، قائلة :

— لا داعى لخسارة الملايين يا ( فتحى ) .. ( صبرى ) يحاول

إصلاح الطائرة .

هتف في لهفة :

— حقاً؟! .. أتظنين أنه سينجح ؟

أجابها ( فانج ) في بساطة :

— نعم .. سينتهى من إصلاحها مع غروب شمس اليوم .

تطلعت إليه ( وفاء ) في دهشة ، وقالت :

— ولكنه يتوقع العمل ليوم كامل .

أجابها الشيخ :

— هذا صحيح ، ولكنه سيجد أن الجناح قد انفصل ولم ينكسر .

وسوفّر له هذا الكثير من الوقت .

نقل ( فتحى ) بصره بينهما فى حيرة ، ثم قال فى عصبية :

— المهم هل سيمكنا مغادرة الجزيرة ؟

تطلّعت ( وفاء ) إلى ( فانج ) ، تنتظر منه الجواب ، ولكنه ظلّ صامتًا

مبتسمًا ، فى حين وصل ( صبرى ) ، وهو يقول :

— هل أعددتكم طعام الإفطار ؟

نهض ( فانج ) قائلاً :

— سيكون جاهزًا بعد دقائق .

هتف ( صبرى ) :

— عظيم .

ثم التقط منشفة قديمة ، ومسح بها يديه فى حماس ، جعل ( وفاء )

تسأله :

— ما أخبار إصلاح الطائرة ؟

أجابها بسرعة :

— عظيمة .. كنت أتصوّر أن الجناح الأيمن مكسور ، ولكنه انفصل

فحسب ، وهذا يعنى أن الإصلاح سيستغرق وقتًا أقل مما كنت أتوقّع .

حدّق ( فتحى ) فى وجهه بدهشة ، ثم هتف :

— يا للشيخ العجيب !

سأله ( صبرى ) :

— ماذا حدث منه ؟

أجابته ( وفاء ) :

— لقد أخبرنا منذ لحظات بما أخبرتنا أنت به الآن .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

— حقًا !؟

ثم انعقد الحاجبان ، وهو يستطرد :

— هذا الشيخ يخفى سرًا غامضًا .

تمتت ( وفاء ) :

— ومخيفًا .

تنهّد ( فتحى ) ، وقال فى خوف :

— الأمر يبدو كما لو أن هذه الجزيرة هى أرض القدر نفسه .

قال ( صبرى ) :

— يالها من فكرة !

ولكن العبارة أصابت عقل ( وفاء ) فى الصميم ..

نعم .. إنها الجزيرة التى يتصورها ..

جزيرة القدر .

\*\*\*

## ٥ - كهف الأسرار ..

انتهى ( صبرى ) من إصلاح الطائرة ، مع مغيب الشمس ، وتنهَّد في ارتياح ، وهو يقول :

— لقد أصلحنا البطة العجوز .

هتف به ( فتحى ) في لهفة :

— أيمكننا الرحيل إذن؟! .. هيا بنا .. هيا .

أجابه ( صبرى ) في خشونة :

— مهلاً يا رجل .. إننا لن نغادر هذه الجزيرة قبل الصباح .

صاح به ( فتحى ) :

— لماذا؟ .. لماذا تنتظر حتى الصباح؟ .. إننى لم أعد أحتمل البقاء

هنا لحظة واحدة ، بعد إصلاح الطائرة .

قال ( صبرى ) في صرامة :

— وأنا لن أسمح لك بتحطيم آخر أمل لنا ، بفرورك وعنادك

وسخافتك وجبنك .. لقد أصلحنا الطائرة بالفعل ، ولكن البوصلة

وجهاز الإرسال مازالا محطمين ، ولن أخطر بطيران ليلي دونهما .. هل

تفهم؟

انكمش ( فتحى ) في مكانه ، ثم لم يلبث أن هتف في حدة :

— فليكن ، ولكن فور وصولنا إلى ( نيويورك ) ، اعتبر نفسك

مفصولاً .

قال ( صبرى ) في غضب :

— ما رأيك في تقديم استقالتي من هذه اللحظة؟

صاح به ( فتحى ) :

— أنت مسئول عن إعادتي إلى ( نيويورك ) .

وهنا تدخلت ( وفاء ) ، صائحة :

— كفى .. إنكما تتشاجران كصبيين صغيرين .

رمقها ( صبرى ) بنظرة غاضبة ، ثم أشاح بوجهه عنها ، في حين قال

( فتحى ) في عصبية :

— أنت على حق .

واندفع عائداً إلى الكوخ ، مغمغماً في غضب :

— أين ذلك الشيخ اللعين؟ .. متى سيعمد طعام العشاء؟

مطأ ( صبرى ) شفتيه في ازدراء ، وهو يتابعه ببصره ، قبل أن يقول :

— إنه يتصور نفسه في فندق ذى خمسة نجوم .

ابتسمت ( وفاء ) ، قائلة :

— هذا شأن كل المليونيرات .. يتصورون أن الدنيا قد خلقت من

أجلهم .

رمق ( فتحى ) بنظرة احتقار أخرى ، قبل أن يستطرد :

— القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم .

تطلعت إليه لحظات في صمت ، وقالت :

— من الواضح أنك مثقف .

أجابها في ضيق :

— أنسيت أننى طيار مدلى ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حنان :

— لا .. لم أنس .

تطلّعت لحظات إلى الشمس الفارقة فى الأفق ، ثم جلس على الرمال ، يراقب الأمواج الهادئة ، التى تضرب الشاطئ فى تتابع ورتابة ، ووقفت هى تتطلّعت إليه فى إعجاب ، ثم جلست إلى جواره ، وسألته :

— ما أوّل ما ستفعله فى ( القاهرة ) ، بعد نجاتنا من هنا بإذن الله ؟

تنهّد فى عمق ، وأجاب :

— سأ تقدّم بطلب ، لعودتى للعمل فى شركة ( مصر ) للطيران .

قالت فى حنان :

— يمكنكى أن أعاونك فى هذا ، فشقيقى أحد مديرى الشركة .

هتف بها :

— حقًا !؟

أومات برأسها إيجابًا ، وهى تبسّم ابتسامة رقيقة جذّابة ، تطلّعت هو إليها طويلًا ، قبل أن يقول :

— أتعلمين أن لك أجهل ابتسامة فى الدنيا كلها ؟

تخضّب وجهها بخمرة الخجل ، وخفضت عينيها فى حياء ، وهى تتمم :

— شكرًا .

خفق قلبه لأوّل مرة ، وهو يتأمّل جمالها الفتان ، ثم سأها :

— أخبرينى يا دكتور ( وفاء ) .. لماذا لم تتزوّجى حتى الآن ؟

هزّت كفيها ، وقالت :

— لم أجد الشخص المناسب .

تطلّعت إليها لحظات فى صمت ، ثم عاد يتطلّعت إلى الشفق المظلم ..

وران عليهما الصمت طويلًا ..

طويلاً جدًّا ..

وعندما قطعت ( وفاء ) جبل الصمت ، كان الظلام قد ساد المكان ،

وهى تقول :

— إننى أشعر بالبرد .

ودّ لو ضمّتها إلى صدره ، ومنحها الدفء والحب والحنان ، إلا أنه

قاوم رغبته هذه ، وقال :

— عودى إلى الكوخ إذن ، وحاولى النوم مبكرًا ، فسرحل مع

الفجر .

بقيت جالسة إلى جواره دقيقة فى صمت ، ثم نهضت قائلة :

— أنت على حق .

وانصرفت عائدة إلى الكوخ ، تاركة إياه على الشاطئ ، يتطلّعت إلى

الظلام ، ويستمع إلى صوت الأمواج ، وهى تتكسّر على الرمال

والصخور ..

ولم يدر كم بقى فى هذا الوضع ..

لقد سبحت به الذاكرة بعيدًا ، وراح يسترجع كل تفاصيل حياته

السابقة ، من دراسته ، وعمله بشركة الطيران ، واستقالته ، والتحاقه

بالعمل لدى ( فتحى ) ، و ..

وفجأة لمح ( فانج ) ..



لحه يسير بهدونه المعهود ، متجها نحو مرتفع صخري قريب ..  
 وفجأة راودته رغبة عارمة في مراقبة ( فانج ) ..  
 رغبة وضعت نفسها على الفور موضع التنفيذ ، فانترع نفسه من  
 مكانه ، وأسرع على أطراف أصابعه خلف الشيخ ، الذي واصل سيره في  
 هدوء ، حتى بلغ حائطاً صخرياً أملس ، عند قاعدة المرتفع ، فتوقف  
 أمامه ، ومد يده يلصقها بزائوته العليا ..  
 واتسعت عينا ( صبرى ) في دهشة ..  
 لقد رأى الحائط الصخري ينزاح جانباً ، وتتبعث من خلفه أضواء  
 قوية ، غاص فيها الشيخ ، قبل أن يعود الحائط الصخري إلى موضعه ،  
 ويفلق خلفه ، ويعود الظلام والسكون إلى المكان ..  
 وفي دهشة ، هتف ( صبرى ) ، وهو يسرع نحو الحائط الصخري :  
 — ما هذا ؟ .. افتح يا ( سمس ) !!  
 بلغ الحائط الصخري ، وراح يفحصه في حيرة ..  
 كان جداراً من الصخر الأملس ، من المستحيل أن يتصور مخلوق واحد  
 أنه من صنع البشر ، أو أنه قادر على الحركة ..  
 وفي اهتمام ، فحص ( صبرى ) الزاوية العليا للحائط الصخري ،  
 ولكنه لم يجد فيها شيئاً يميزها عن باقي الحائط ، فراجع متمتماً في حيرة :  
 — ما الذى يحدث هنا ؟  
 لم يكن يدرك ما يحدث بالفعل ، ولكنه كان واثقاً من أنه شيء يحمل  
 حل لغز الجزيرة ..  
 جزيرة القدر ..

\* \* \*

تقلبت ( وفاء ) في فراشها كالمحمومة ، وهى تفكر في لغز الجزيرة  
 الغامضة ، التى ساقها القدر إليها ..  
 لماذا جاءت إلى هنا ؟  
 هل ستعود ؟ ..  
 كيف يمكنها أن تحيا مرة أخرى ، دون أن تعرف حل هذا اللغز ؟  
 قلب عقلها الأمر على كل وجوهه ، وحاولت أن تجد تفسيراً لذلك  
 اللغز الغامض ، إلا أن عقلها عجز تماماً عن هذا ..  
 وفجأة شعرت بحركة مريبة أمام باب حجرتها ، فانتفضت في ذعر ،  
 وهبت جالسة على طرف الفراش ، وخفق قلبها في خوف ، عندما نحت  
 تلك اليد ، التى أزاحت ستارة الباب ، قبل أن تسمع صوت ( صبرى ) ،  
 وهو يقول :

— دكتور ( وفاء ) .. أنت مستيقظة ؟

ازدردت لعابها ، وتنهدت في ارتياح ، وقالت :

— نعم يا ( صبرى ) .. ماذا حدث ؟

دلف إلى حجرتها ، وهو يقول في انفعال :

— لقد تتبععت الشيخ .

لم تسأله لماذا فعل ، وإنما سأله في لهفة :

— وماذا وجدت ؟

لوح بكفه ، قائلاً :

— أشياء غامضة ومثيرة .

سأله في اهتمام :

— مثل ماذا ؟

ارتفع من عند باب الحجرة صوت ( فتحى ) ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

— يا للصفاقة ! .. كيف جرؤتما على اللقاء سرًا ؟

التفت إليه ( صبرى ) ، وقال فى صرامة :

— كف عن هذه السخافات ، واستمع إلى ما كشفته .

نسى ( فتحى ) على الفور أمر الصفاقة واللقاءات السرية ، وقال فى قلق :

— ما الذى كشفته ؟

أجاب ( صبرى ) :

— هناك كهف سرى ، على هذه الجزيرة ، ومن المؤكد أنه يخفى سر كل هذه الألغاز .

سأله ( وفاء ) :

— وأين هذا الكهف ؟

قصّ عليهما ما حدث بالتفصيل ، وأشار إلى الوسيلة ، التى فتح بها ( فانج ) الحائط الصخرى ، وكيف عجز هو عن العثور عليها ، فقالت ( وفاء ) فى حماس :

— إنه قفل حرارى ، يلتقط حرارة اليد ، ويحوّلها إلى طاقة كهربية ، لفتح الباب السرى .

أطلق ( فتحى ) من بين شفّتيه صفيحًا ، وقال :

— هذا الصينى يمتلك أجهزة متطورة للغاية ، وهو يخفى جهاز اتصال حتمًا .

تجاهلته ( وفاء ) ، وهى تسأل ( صبرى ) :

— أنت تعرف موضع ذلك الجدار الصخرى .. أليس كذلك ؟ أجابها فى حماس :

— بلى .. أتخمين الذهاب إلى هناك ؟

هتف ( فتحى ) :

— بالطبع .. سنذهب جميعًا .. هيا بنا .

غادر ثلاثتهم الكوخ ، واتجهوا نحو المرتفع الصخرى ، حيث يوجد الحائط الأملس ، ولكن ( فتحى ) قال فجأة فى يأس :

— لقد تأخرنا .. ها هوذا الصينى .

التفت ( صبرى ) و ( وفاء ) إلى حيث يشير ( فتحى ) ، وقال ( صبرى ) فى غيظ :

— لقد غادر اللعين كهفه السرى .

ثم اندفع نحو ( فانج ) ، مستطردًا :

— ولكنه سيعود إليه .

فوجئ ( فانج ) بـ ( صبرى ) ينقضّ عليه ، فتراجع فى دهشة ، قائلاً :

— ماذا هناك يا سيّد ( صبرى ) ؟

أحاط ( صبرى ) عنق ( فانج ) بذراعه فى عنف ، وقال فى صرامة :

— ما رأيك فى العودة إلى كهفك السرى يا سيّد ( فانج ) ؟

تحشّرج صوت ( فانج ) ، وهو يقول :

— أى كهف سرى يا سيّد ( صبرى ) ؟

وصل ( فتحي ) و ( وفاء ) في هذه اللحظة ، وقال ( فتحي ) في عصبية :

— لا داعي للإنكار أيها الشيخ الأحمق .. لقد راقبناك ، وعرفنا كل شيء .

لم يحاول ( فانيج ) الإنكار ، بعد هذه العبارة ، وقال :

— من الخطأ أن تذهبوا إلى هناك .. إنكم ستفسدون كل شيء لو فعلتم .

شدّد ( صبرى ) من ضغط ذراعه على عنق ( فانيج ) ، وهو يقول :

— ولكننا نصر .

أما ( وفاء ) ، فسألت ( فانيج ) في انفعال :

— هيا يا ( فانيج ) ، لماذا ترفض أن تقودنا إلى هناك ؟

أجابها بصوت مختنق :

— لأن هذا خطأ .

قالت في توتر :

— دعنا نحن نحدّد الخطأ والصواب يا ( فانيج ) .

هز رأسه في نفى ، قائلاً :

— ليس من حقى أن أفعل .

وهنا دفعه ( صبرى ) أمامه في عنف ، وهو يقول :

— سنجبرك إذن .

دفعه أمامه إلى الجدار الصخري الأملس ، وقال في خشونة :

— افتحه .



قال ( فانج ) في إصرار :

— لا يمكنني أن أفعل .

ولكن ( صبرى ) أمسك معصمه في عنف ، وحمله في قوة ، وألصق راحته ، بالزاوية العلوية للحائط الصخرى ..

وفي بطاء ، انزاح الحائط الصخرى ، وغمر الضوء وجوه الجميع ..

وللحظات ، غشى الضوء أبصار الثلاثة ، ثم فتحوا عيونهم ..

واتسعت العيون عن آخرها ..

كان ما يرونه أمامهم مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

\* \* \*

## ٦ — القدر ..

حتى في أكثر الاحتمالات غرابة وخيالية ، لم يتصور ( صبرى ) أو ( فتحى ) أو ( وفاء ) أن يجدوا شيئاً كهذا ، في جزيرة نائية مجهولة ، في قلب المحيط ..

لقد كانت أمامهم قاعة هائلة ، اكتظت بأجهزة الكمبيوتر ، وعشرات الأجهزة والشاشات الأخرى ..

وفي انبهار ، هتفت ( وفاء ) :

— ما هذا ؟ .. عالم ( ديزنى ) (\*) !؟

وفي غمرة ذهوله ، تخلى ( صبرى ) عن عنق ( فانج ) ، وتقدم إلى القاعة ، وراح يدير عينيه فيها مبهوراً مشدوهاً ، وسمع ( فتحى ) يهتف :

— يا إلهي ! .. إنها قاعة كمبيوتر كاملة .. إنها تساوى مليار دولار على الأقل .

وهتفت ( وفاء ) :

— ولكنها ليست أجهزة حديثة .. إن عمرها يعود إلى أوائل

السبعينات .

قال ( فانج ) في هدوء أسف :

(\*) ديزنى لاند : أعظم وأكبر مدينة ملاهي في العالم ، أنشأها ( والت ديزنى ) ، مبتكر شخصية ( ميكى ماوس ) ، وهي تحوى أحدث وأطرف مبتكرات التكنولوجيا في العالم أجمع ، إلى جوار ألعاب التسلية ، التي لا مثيل لها في العالم كله .

- بل إن عمرها مليوناً عام على الأقل .  
التفتوا إليه في دهشة ، وهتف ( فتحى ) مستكراً :  
— مليوناً عام ؟ .. أنت مجبول يا رجل ؟ .. من كان يمكنه صنع  
شئ كهذا ، منذ مليونى عام ؟ .. أو حتى منذ خمسين عاماً فحسب .  
أجابته ( فانج ) :  
— لقد صنعها ( كيرو أوهايو ) ، ونقلها إلى هنا بنفسه .  
حدقت ( وفاء ) في وجهه ، وقالت :  
— أنت مجنون بالفعل .. لقد توفى ( كيرو أوهايو ) ، منذ عشرة  
أعوام فحسب ، وترك خلفه أعظم مصانع أجهزة الكمبيوتر في العالم ،  
فكيف بنى هذه القاعة المنيرة ، منذ مليونى عام ؟  
تنهد ( فانج ) ، وقال :  
— لا بأس .. ما دمتم قد كشفتم الأمر ، فلن يضير أن تعلموا كل  
شئ .. ( كيرو أوهايو ) ، الذى تتحدثين عنه ، هو السابع على هذه  
الأرض ، أما من صنع هذا الشئ ، فهو الخامس .  
بدت عبارته أشبه بلفظ غامض ، جعل الجميع يحدقون في وجهه في  
دهشة ، قبل أن تقول الدكتور ( وفاء ) بصوت مرتجف :  
— ماذا تعنى بهذا القول العجيب يا ( فانج ) ؟  
تنهد ( فانج ) مرة أخرى ، وقال :  
— أنا واثق من أن ما سأخبركم به سيصعقكم ، وسيبدو لكم أشبه بحلم  
مجنون ، ولكنه الحقيقة ، على الرغم من كل غرابته واستحالاته ..

- ولكى تفهموا ما سأقول ، ينبغي أن أنقل إليكم أولاً تلك النظرية ، التى  
توصل إليها ( كيرو أوهايو ) الخامس ، منذ مليونى عام تقريباً .  
غمغم ( فتحى ) :  
— هذا الشيخ مخرف مجبول .  
ولكن ( فانج ) تابع ، وكأنا لم يسمع ما قاله ( فتحى ) :  
— منذ حدوثه ، كانت نظرية ( أينشتين ) تشغل عقل ( كيرو  
أوهايو ) الخامس ، وخاصة ذلك الجزء منها ، الخاص بالزمن والكون ،  
ففيه يقول ( أينشتين ) إن الزمن والكون لانهائيين ، ولكنهما محدودان ،  
ومعادلات ( أينشتين ) تثبت هذا ، ولكن دون دليل فعلى .  
قال ( فتحى ) فى حدة :  
— أرايتما كذب هذا الرجل ؟ .. ألم أقل لكما إنه مجنون ؟ كلنا نعلم أنه  
لم يكن هناك أى ( أينشتين ) ، منذ مليونى عام .  
قال ( صبرى ) فى صرامة :  
— اصمت يا ( فتحى ) .  
أطبق ( فتحى ) شفثيه فى غضب ، فى حين واصل ( فانج ) حديثه :  
— النقطة الرئيسية ، التى حيرت ( كيرو أوهايو ) ، هى كيف يكون  
الزمن لانهائياً ، ولكنه محدود ؟! .. ثم فجأة توصل إلى الحل .. الوسيلة  
الوحيدة ، التى يكون الزمن فيها لانهائياً ، ولكنه محدود ، هو أن يكون  
دائرياً ، فمحيط الدائرة لانهائى ، حيث أن السائر على محيطها لن يجد  
بداية أو نهاية أبداً ، ولكنه فى الوقت نفسه محدود ، بدليل قدرتنا على  
قياسه ، من نقطة إلى أخرى .

والتقط أنفاسه ، قبل أن يسأل في اهتمام :

— ولكن كيف يثبت ( كيرو أو هايو ) نظريته !؟

سأله ( وفاء ) في اهتمام تام :

— كيف !؟

أجابها ( فانج ) :

— لقد تفتق ذهنه عن نظرية مدهشة ، تقول إن الأحداث كلها ، بما فيها مولد وموت الأشخاص والأشياء ، كلها تمضي في ذلك الزمن الدائري ، بدءاً من نقطة محدودة ، وحتى تبلغ هذه الأشياء نقطة النهاية ، ثم تتبعها البداية مرة أخرى .. وهذه النظرية تعني أن كل شيء يتكرر مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة .. إلخ .. كل الأشخاص تظهر مرة أخرى ، ونحيا بنفس النمط والأسلوب ، وتؤدي نفس الأفعال والأشياء ، وتنتهي نفس النهاية ، في نفس التوقيت .. تماماً كفيلم سينمائي ، يعاد عرضه مرة بعد مرة بعد مرة ، وكأننا أوصلنا نهايته ببدايته ، وتركناه يمضي بلا نهاية .

هتف ( فتحى ) :

— فكرة مجنونة .

رمقه ( صبرى ) بنظرة صارمة ، في حين تابع ( فانج ) :

— وليثبت نظريته هذه ، اختار ( كيرو ) هذه الجزيرة النائية المهجورة ، ووضع عليها كل هذه الأجهزة ، التي تقتصر مهمتها على تسجيل كل ما يحدث في العالم ، وعلى الجزيرة بالذات ، ثم التأكد منه في جيل ثان ، ودورة زمنية أخرى ..

وصمت لحظات ، ليلتقط أنفاسه ، ويجفف بعض العرق عن جبينه ،

قبل أن يستطرد :

— وبعد عشر سنوات من وضع الأجهزة على الجزيرة ، مات ( كيرو ) بأزمة قلبية ، وترك أجهزته تعمل ، بعد أن اختار أسرق لحراستها وصيانتها ورعايتها ، على مر الزمن .. ومضت السنوات والسنوات ، وانتهت دورة زمنية ، وبدأت الأحداث تكررهما السادس ، وراحت أسرق تسجل ما يحدث لحظة بلحظة ، على سطح الجزيرة ، وتوارثنا حراسة الجزيرة ، وصيانة الأجهزة ، حتى انتهى الجيل السادس ، وبدأ الجيل السابع .. ومع بدايته ، بدأت مرحلة التحقق من نظرية ( كيرو ) .

قال ( صبرى ) في اهتمام :

— وهل جاء ( كيرو أو هايو ) السادس ، في نفس الموعد ، الذي

وصل فيه ( كيرو أو هايو ) الخامس ؟

أوماً ( فانج ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. في نفس اللحظة بالضبط .. جاء حاملاً أجهزته وأدواته ، واستقبلته نسختي السادسة كما سبق أن استقبل نسختي الخامسة نسخته ، في الدورة الزمنية السابقة ، ولكن سعادة ( كيرو أو هايو ) السادس كانت عظيمة . فقد جاء ليثبت نظريته ، فوجدها وقد أثبتت بالفعل ، ووجد الأجهزة التي وضعها سابقه ، فنقل ما سجلته إلى أجهزته ، وأعدم الأجهزة القديمة ، ورحل .

وهنا هتفت ( وفاء ) فجأة :

— لحظة يا ( فانج ) .. كيف عرف ( كيرو أو هايو ) أنه السادس أو

الخامس بالتحديد ؟

أجابها ( فأنج ) :

— لم نعرف هذا إلا مع بداية الدورة الزمنية السابعة ، فقد لاحظنا أن رقم ( خمسة ) كانت له دلالة محدودة ، في الدورة التي صنع فيها ( كيرو أوهايو ) الأجهزة الأولى ، ثم أصبح الرقم ( ستة ) هو المفضل في الدورة التالية ، وبعده الرقم ( سبعة ) في هذه الدورة .

سألته في حيرة :

— وماذا يعنى هذا ؟

أجابها في هدوء :

— ألم تتبى إلى أن الرقم ( سبعة ) هو كل شيء ، في هذه الدورة الزمنية ؟ .. ألوان الطيف سبعة ، أيام الأسبوع سبعة ، فقرات العنق سبعة ، السموات .. الأرض .. كل شيء تقريباً . ارتسمت الدهشة على وجهها ، وقالت :

— وكيف كانت الألوان في الدورة السابقة ؟ .. أكانت ستة ألوان طيف فحسب ؟

ابتسم وهو يجيبها :

— هذا أمر عسير الشرح يا سيدي .

قال ( صبرى ) :

— وهل جئنا نحن في الدورة السابعة ؟

أوما برأسه إجاباً ، وقال :

— بالطبع .. أنتم البشر الوحيدون ، الذين وطنوا أرض الجزيرة بأقدامهم ، بخلاف أسرتي ، والسيد العظيم ( كيرو أوهايو ) . وكنا نتظر

وصولكم في الدورة السابعة ، لتأكد نظرية ( كيرو ) أكثر .

سألته ( وفاء ) :

— وهل وصل ( كيرو ) السابع ؟

ابتسم مجيباً :

— نعم .. وكان لي شرف استقباله هذه المرة .

سألته في حيرة :

— لماذا لم يعلن على العالم نجاح كشفه إذن ؟

أجابها في احترام :

— قال إنه سترك هذا لنسخته القادمة ، في الدورة الثامنة ، فلقد بدأ المشروع في الدورة الخامسة ، وكانت الدورة السادسة مرحلة تسجيل ، أما السابعة ، فهي مرحلة تأكيد للنظرية ، وفي الثامنة يحين موعد الكشف عن النظرية .

هتف ( فتحى ) :

— يا إلهي ! .. إنها تكون بذلك أطول نظرية ، في تاريخ الكون .

قال ( فأنج ) في حزن :

— ولكنكم تعرّضون تجربة مليوني عام للفشل .

كاد ( صبرى ) يسأله عما يعنيه ، ولكن ( وفاء ) اندفعت تسأله في

اهتمام :

— قل لي يا ( فأنج ) .. ماذا سيكون قدرنا ؟

خفض ( فأنج ) عينيه ، دون أن يجيب ، فسألته في اصرار :

— هل ستنجو من هنا ؟

تنهد ( فأنج ) في عمق ، وقال :

— إنكم ستغادرون الجزيرة عند الفجر .

سأله ( فتحى ) في لهفة :

— وماذا بعد ؟

تطلع إليه ( فأنج ) لحظات في صمت ، ثم قال :

— وستصادفكم عاصفة أخرى ، فسقط طائرتكم ، بعد ساعتين من

إقلاعها ، و ..

صاحت به ( وفاء ) :

— وماذا ؟

أجابها في حزن ، وبصوت جمد الدماء في عروق الجميع :

— وتلقون مصرعكم .. جميعاً .

وانهار الأمل في القلوب ..

\*\*\*

## ٧ — التحدى ..

قضت ( وفاء ) ساعة كاملة تبكى في حجرها دون انقطاع ..

إذن فهذه هي النهاية ..

أن تلقى مصرعها غرقاً ، بعد يومين فحسب ، من إعلانها بمحث عمرها

كله ..

لماذا ؟ ..

لماذا يكون هذا قدرها ؟

وشعرت في هذه اللحظة باحتياج شديد إلى ( صبرى ) ..

تمنت لو قضت بين ذراعيه الساعات الباقية من عمرها ..

ولكن أين هو ؟ ..

أين ( صبرى ) ؟ ..

غادرت حجرها بحثاً عنه ، وهي تجفف دموعها ، فوجدت ( فتحى )

يجلس إلى المائدة الخشبية ، في الردهة الصغيرة كالمصعوق ، يحدق في النافذة

المفتوحة في صمت وخواء ، فاقتربت منه تسأله :

— أين صبرى ؟

فوجئت به يقول :

— لن أرحل .

لحيل إليها أنها لم تسمع قوله جيداً ، فسأته :

— ماذا تقول ؟



فوجئت به يتفجر في وجهها ، صائحًا :

— قلت : إنني لن أرحل .. أنت صمّاء ؟ .. ألا تسمعين ؟ ..

قلت : إنني لن أرحل .. لن أرحل .. لن أرحل .

سألته مبهوتة :

— ولكن لماذا ؟

صرخ في وجهها :

— لأفسد هذا القدر .. لأنقذ نفسي من موت محتم .

ثم هبّ من مقعده ، وراح يلوح بذراعية ، هاتفاً :

— سأبقى هنا .. ربما عبرت طائرة ، أو سفينة .. سأشعل نارا دائمة

في الليل ، حتى يأتي من ينقذني .

قالت في توتر :

— ولكنك سترحل معنا حتماً ، ولن يمكنك الفرار من هذا ، لو أنه

حقاً قدرك .

هتف في حدة :

— من قال هذا ؟ .. إنني سأبقى ، وسأتحدى ما قاله الشيخ .. هذه

هي الوسيلة الوحيدة لتحطيم القدر .

قالت في صرامة :

— القدر لا يمكن تحطيمه .

وغادرت الكوخ غاضبة ، وتطلّعت ببصرها إلى ( صبرى ) ، الذى

انهمك في تثبيت جذعى أشجار إلى جانبي الطائرة ، فاتجهت إليه ، قائلة :

— ماذا تفعل ؟

أجابها في حسم :

— أحصن الطائرة ضد الغرق .

سألته في قلق :

— هل سترحل عند الفجر ؟

أجابها :

— كلنا سنرحل ، وسنعود إلى ( نيويورك ) سالمين بإذن الله .

أمسكت كفه ، وهي تقول :

— ولم لا نتحدى التاريخ ؟

التفت إليها يسألها :

— ماذا تعنين ؟

أجابته ، في لهجة أقرب إلى الضراعة :

— دعنا نشارك ( فتحى ) فكرته ، فلا نرحل من هنا ، وبذلك نفسد

التسلسل كله .

قال في حزم :

— بل سترحل .. وفي موعدنا تماماً .

صاحت به :

— هل تصرّ على قتلنا جميعاً ؟

أجابها في حدة :

— ومن قال إن نبوءة ذلك الشيخ ستتحقق ؟

قالت بصوت مرتفع :

— كل ما قاله من قبل تحقق .. أنسيت هذا ؟

صاح :

— لأننا لم نحاول مقاومته .

سمع الشيخ صوتهما ، فاقرب منهما ، ووقف يستمع إليهما في صمت ، في حين جاء ( فتحى ) على صوت شجارهما ، وقال في عصبية :

— عدم رحيلنا هو الوسيلة المثلى لمقاومته .

أجابه ( صبرى ) في حزم :

— بل رحيلنا هو الوسيلة لذلك .

لوح ( فتحى ) بذراعيه في عصبية ، وهو يهتف :

— إنك مجنون .. عنادك هذا سيقتلنا جميعاً .

صاح ( صبرى ) :

— بل الخوف هو الذى سيحطمكم .. ألم تلاحظوا ما لاحظته أنا ، في

قصة ( فانج ) هذه ؟ .. إن الزمن لا يسير على وتيرة واحدة أبدا .

والأحداث لا تتكرر على نحو نمطى ثابت ، كما تتصورون ، وإلا فكيف

تجاوز ( كىرو ) الخامس هذه الوتيرة ، ووضع أجهزته في هذه

الجزيرة ؟ .. وكيف جاء ( كىرو ) السادس ليجد الأجهزة هنا ، في حين

لم تكن هناك أجهزة ، عندما جاء ( كىرو ) الخامس ؟

برقت عينا ( وفاء ) ، وهتفت :

— ياإلهى ! .. أنت على حق يا ( صبرى ) .. لقد حدث اختلال في

الدورة الزمنية بالفعل .

أشار ( صبرى ) إلى صدره ، وقال :

— نحن أيضا صنعنا اختلالاً آخر ، في الدورة الزمنية ، ويمكنكما

سؤال ( فانج ) ، الذى سيؤكد لكما أن أشباهنا في الدورة السادسة ، لم

يكشفوا سر الجزيرة .. أليس كذلك يا ( فانج ) ؟

أوما ( فانج ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا صحيح .

صاح ( صبرى ) :

— إذن فقد اختلت الدورة الزمنية ، ولم تتحقق نظرية ( كىرو ) ،

بنسبة مائة في المائة ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن نجو .

صرخ ( فتحى ) :

— قل ما يجلو لك ، ولكتنى لن أرحل من هنا .

أشار ( صبرى ) إلى الأفق ، وهو يقول له في صرامة :

— اسمع يا ( فتحى ) .. ستشرق الشمس بعد لحظات ، وسأقلع بهذه

الطائرة ، سواء شئت أن تستقلها معى ومع ( وفاء ) ، أم أبيت .

عقد ( فتحى ) ذراعيه أمام صدره ، وقال في عناد :

— سأبقى .

وهنا قال ( فانج ) في هدوء :

— أخشى أنه لن يمكنك هذا يا سيد ( فتحى ) .

قال ( فتحى ) في عدوانية :

— أتخداك أن تحاول منعى أيها الصينى .

وفجأة هوى ( صبرى ) على فك ( فتحى ) بلكمة كالقنبلة ، وهو

يقول :

— سأمنعك أنا .

تلقى ( فتحى ) اللكمة ، وارتج كيانه كله ، ثم سقط كالحجر فاقد  
الوعى ، فانحنى ( صبرى ) بحمله ، وهو يقول :

— هيا يا ( وفاء ) .. سرحل .

سألته فى انفعال :

— لماذا فعلت به هذا ؟

أجابها وهو يضع ( فتحى ) على مقعده داخل الطائرة ، ويربط وسطه  
بحزام المقعد :

— إننى أفعل هذا لصالحه ، فهذه الجزيرة بعيدة عن خطوط الطيران  
والملاحة ، ولست أملك بوصلة لتحديد موقعها فيما بعد ، ولو تركناه هنا  
فسيتهى إلى الأبد ، كفأر ضل طريقه ، وسط صحراء شاسعة ، مترامية  
الأطراف .

لم يعلق ( فانيج ) بكلمة واحدة ، فى حين ترددت ( وفاء ) لحظة ، ثم  
أسرعت تستقل الطائرة ، وتربط حزام مقعدها حول وسطها ، وتبعها  
( صبرى ) ، وجلس على مقعد القيادة ، وقال لـ ( فانيج ) :

— الوداع أيها الشيخ .. سنثبت برحلتنا هذه أنه ما من بشرى يملك  
معرفة الغيب ، أو تحديد القدر .

قال ( فانيج ) فى هدوء :

— وداغاً .. ومن يدري ؟ ربما كنتم بهذا تتبعون قدركم ، دون أن  
تدروا .

أدار ( صبرى ) محرك الطائرة ، وانطلق بها فوق أرض الجزيرة ،  
وخفق قلب ( وفاء ) فى قوة . عندما اقتربت الطائرة من الشاطئ



بسرعة ، و ..

وارتفعت في الهواء ..

وبدأت رحلة العودة ..

أو رحلة النهاية ..

\*\*\*

تأوه ( فتحى ) في ألم ، وهو يستعيد وعيه ، وتمتم في احتجاج وسخط :

— ما هذا الصداع العنيف ؟ .. أين أنا ؟

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما أدرك أين هو ، وصاح :

— ماذا فعلت أيها الأحمق ؟ .. لماذا اصطحبتنى في رحلتك ؟ .. أنت

مفصول .. مفصول .

أجابه ( صبرى ) في غضب صارم :

— اصمت يا رجل .. لقد غادرنا الجزيرة بإقلاع ناجح ، ونحن نخلق

الآن فوق المحيط ، في طريقنا إلى ( نيويورك ) ، والجو صحو كما ترى ،

وسنبلغ المدينة بعد نصف الساعة على الأكثر .

اتسعت عينا ( فتحى ) ، وهو يهتف :

— حقاً ؟!

ثم عاد يهتف في عصبية :

— ولكن كيف تثق باتجاهك ؟

أجابته ( وفاء ) ، محاولة تهدئة أعصابه :

— إنه يتجه إلى الغرب ، ويستدل بحركة الشمس ، وموضع شروقها .

صمت لحظة ، ثم عاد يهتف في ذعر :

— ولكننا لن ننجو .. هكذا يقول قدرنا .

أجابه ( صبرى ) في حدة :

— بل هكذا يقول جهاز ( كيرو ) ، وليس قدرنا .. إننا سننجو بإذن

الله ، وسيكون هذا قدرنا .

ولكن ( فتحى ) صاح في ذعر :

— كيف تفسر هذا إذن ؟

كان يشير إلى الشمال ، عبر نافذة الطائرة المجاورة لـ ( وفاء ) ، التي

التفتت إلى حيث يشير بدورها ، ثم أطلقت شهقة فزع ..

فهنالك ، في الأفق ، كانت السحب الداكنة تقترب منهم في سرعة ..

ولم ينطق ( صبرى ) بحرف واحد ..

لقد عقد حاجبيه في صرامة ، وواصل انطلاقه نحو الغرب في إصرار ،

في حين راح ( فتحى ) يصرخ :

— أرايت ما فعلت بنا .. لقد قادتنا إلى حتفنا .. إننا سنلقى مصرعنا

جميعاً .

صاح به ( صبرى ) :

— اصمت يا رجل .

ظل ( فتحى ) يصرخ :

— أصمت ؟! .. أهذا ما تطالبني به ؟ .. أن أموت في صمت ؟ ..

أهذا ما دفعتنا إليه ؟

صرخ به ( صبرى ) :

— قلت لك اصمت .

ولكن العاصفة بلغتهم بسرعة مدهشة ، فأظلمت السماء ، وانهمرت  
الأمطار ، واتهمت الصواعق وسط السحب الداكنة ..  
وانكملت ( وفاء ) في مقعدها ، وأطلّ الرعب من عينيها ، دون أن  
تبس ببنت شفة ..

إنها النهاية ..

تمامًا مثلما قال حارس الجزيرة ..

جزيرة القدر ..

إنها لحظاتها الأخيرة ، كما وصفها ( فأنج ) تمامًا ..

لقد قال إنهم سيسقطون ، بعد ساعة طيران ، وها هي ذى ساعة  
الطائرة تشير إلى دقيقتين فحسب ، قبل إتمام ساعتى طيران ..  
وارتجف جسدها في رعب ، وهى تحذق فى الساعة ، فى حين سيطر  
( صبرى ) على الطائرة فى صعوبة ، وواصل ( فتحى ) صراخه :

— أنت قتلتنا .. أنت حطمت حياتى .. أنت المسئول ..

وفجأة أصدر المحرك فرقة مخيفة ، وهتف ( صبرى ) :

— يا إلهى .. إنه المحرك !

ومالت مقدمة الطائرة إلى أسفل ، وسقطت كالرصاصة نحو المحيط ..  
وصرخ ( فتحى ) :

— لا .. لا أريد أن أموت .. لا ..

أما ( وفاء ) ، فقد تجمّدت كل مشاعرها ، وهى تحذق فى عقرب

التوالى بالساعة ..

بقيت خمس ثوان ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنان ..

واحدة ..

وارتطمت الطائرة فى عنف بسطح المحيط ..

وأظلمت الدنيا أمام عيني ( وفاء ) ..

وانتهى كل شيء .

\* \* \*

## ٨ - الختام ..

« استيقظي يا ( وفاء ) .. استيقظي »

تسلل ذلك النداء ، عبر حواسها المنهارة ، وأيقظ مشاعرنا النائمة ..

فتمتت في صعوبة :

— أين أنا ؟

ثم لم يلبث عقلها أن هتف داخلها :

— أنا على قيد الحياة ؟

ثم فتحت عينيها دفعة واحدة ، وحدثت في وجه ( صبرى ) ، الذى

ابتسم هاتفاً :

— حمدًا لله .. لقد استعدت وعيك .

هتفت به في حرارة :

— ( صبرى ) !؟ .. نحن على قيد الحياة ؟

أوما برأسه إيجابًا ، وقال في سعادة :

— نعم يا ( وفاء ) .. كلنا على قيد الحياة .. لقد سقطت بنا الطائرة

في المحيط ، ولكن جذوع الأشجار ، المثبتة على جانبيها أنقذتنا من الغرق ،

وجعلت الطائرة تطفو بنا على السطح ، حتى نحتنا بارجة حربية أمريكية ،

فانتشلتنا ، ونجونا .

أغمضت عينيها ، وهى تهتف في حرارة :

— حمدًا لله .. حمدًا لله .

أناها صوت ( فتحى ) من خلفها ، يقول :

— لقد هزمتنا جزيرة القدر .

التفتت إليه مبتسمة ، وهى تقول :

— بل هى جزيرة ( كبرو أوهايو ) ، و ( صبرى ) وحده تحذاها ،

وهزمتها ، وأنقذ حياتنا .

مط ( فتحى ) شفتيه ، وهو يقول :

— لهذا ساعيده إلى عمله ، وأضاعف راتبه ، وأجعل منه طيارنا

الخاص .

قال ( صبرى ) فى برود :

— كلاً أشكرك .. لقد قررت العودة إلى عملى بـ ( القاهرة ) .

هز كفتيه ، قائلاً :

— كما يحلو لك .

ثم ابتسم لـ ( وفاء ) ، مستطرذاً :

— أما أنا وأنت يافاتتى ، فسنبداً حياتنا من جديد .

قالت فى تردد :

— معذرة يا ( فتحى ) ، ولكن لو أنك تتحدث عن برنامجى ، فقد

قررت منحه إلى الشركات المصرية بأى أجر معقول .

مط شفتيه مرة أخرى ، وقال :

— قرار غير عملى بالمره ، ولكنه لم يكن ما أعنيه .

وابتسم ملوِّحاً بكفه ، وقائلاً :

— إننى أتحدث عن زواجنا .. أنا وأنت .. ستعيشين معى فى القصر ،

ويكون لك بكل ما حلمت به وتمنيته .. أفخر الثياب ، أندر الحلى

والمجوهرات وأثمتها .. سيارة مدهشة .. طائرة خاصة ، فيلات فى كل أنحاء

الأرض .. كل أحلامك يا ( وفاء ) .. كلها .

شردت بصرها فى هيام ، وهى تقول :

إننى أحلم بكل هذا بالفعل يا ( فتحى ) :

ثم تلاشت نظرة الهيام من عينيها ، وهى تستطرد فى حزم :

- ولكنني أحلم منذ صباى أيضا بحلم أعظم .  
 والتفتت إلى ( صبرى ) ، مستطردة :  
 — برجل .. رجل بمعنى الكلمة .  
 ثم تصرّجت بشرتها بحمرة الخجل ، التي زادتها فتنة وجمالا ، وهي  
 تخفض عينيها في حياء ، قائلة :  
 — هذا لو أنه يقبلنى زوجة .  
 هتف ( صبرى ) فى سعادة ، وهو يحضن يدها براحتيه :  
 — ياإلهى ! إننى لم أجرؤ على طلب هذا يا ( وفاء ) .. إننى أسعد  
 مخلوق فى هذه الدنيا .  
 مطّ ( فتحى ) شفّيته ، وقال فى ازدراء :  
 — قرار آخر غير عملى .  
 ونهض يغادر المكان فى حنق ، فى حين تطلّع ( صبرى ) إلى ( وفاء ) فى  
 سعادة ، وهو يقول :  
 — ( وفاء ) .. حبيبتى .. لست أصدّق نفسى .. لقد حققت  
 انتصارين فى يوم واحد ..  
 هزمت نظرية ( كبرو أوهايو ) ، وفزت بك .  
 داعبت أنفه بسبّابتها ، وهي تقول :  
 — وماذا فى هذا .. ألم تتعلم درسًا من جزيرة القدر ؟  
 ومالت نحوه ، هامسة فى حب :  
 — إنه قدرنا .  
 وسرى الحب بين جسديهما ، وقلبيهما ..  
 إنه حبهما ..  
 وقدرهما .

\* \* \*

باقة من القصص  
والروايات المصرية  
قمة في التشويق والإثارة



روايات مصرية للجيب

كوكب  
٢٠٠٠

في هذا الكتاب

صفحة

- العقاب (قصة قصيرة) ..... ٥
- **العقرب** (سلسلة جديدة)
- **العصابة** (الجزء الثالث) ..... ١٥
- السيطرة (قصة قصيرة) .... ٨٤
- **لعبة الجواسيس** ..... ٨٩
- العلاج (قصة قصيرة) ..... ١٤٣
- قصة العدد
- **جزيرة القدر** ..... ١٤٩
- عزيزى القارئ ..... ٢٢٣

التمن في مصر ١٥٠  
وما يعادله بالدولار الأمريكى  
في سائر الدول العربية والعالم